obeikandl.com

الأسد البغل

obeikandl.com

جَاهِد ظَرِيف أوغْلو

الأَسَدُ البَطْل

تَرْجَمة

د/ صبرى توفيق همام

مُرَاجَعة

أ.د/ الصَّفْصَافِى أحمد القُطُورِى

obeikandl.com

سفير

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م
حقوق الطبع محفوظة
رقم الإيداع : ٢٠١٢٢ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى : 978- 977-361-705-9

سفير

١٦ ش محمد عز العرب من ش قصر العينى - ص . ب : ٤٢٥ الدقى- القاهرة
تليفون : ٢٥٣٢٩٩٠٢-٢٠٢+ فاكس : ٢٥٣٢٩٥٠٥-٢٠٢+
E-Mail: info@safeer.com - Web Site: www.safeer.com.eg

المعرض الدائم

٤٨ ش أحمد عرابى - المهندسين
تليفون : ٣٣٠٤٩٤٠٣-٢٠٢+

الطبعة الأولى ٢٠٠٩
تُرجم هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة التركية

obeikandl.com

المؤلف :

جاهد ظريف أوغلو :

ولد فى أنقرة عام ١٩٤٠م، أتم تعليمه الجامعى فى جامعة إستانبول بقسم اللغة الألمانية وآدابها، عمل فى العديد من المؤسسات، وكان من بينها هيئة الإذاعة التركية. توفى جاهد ظريف أوغلو فى السادس من يونية ١٩٨٧م .

له أعمال متعددة فى ميادين الشعر المعاصر والقصة والرواية، وقد اتجه للكتابة للأطفال منذ أوائل عام ١٩٨٠م، وخاطب شتى الفئات العمرية فى أعماله مما لفت الأنظار إليه فى هذه المجالات. وتحتل أعماله مكانًا بارزًا فى أدب الأطفال التركى.

وقد تميز بأن جعل كل أبطال حكايته من الحيوانات وجعلها تفكر وتتصرف كالإنسان تمامًا. . وأعماله من الكثرة بحيث يصعب حصرها هنا. ولكن أهمها «أطفال الإشارة»، و«سبعة رجال ظرفاء»، و«المراحل»، و«الخوف والرجاء» وغير ذلك من الروايات. وله محاولة مسرحية بعنوان «الإمام اللبَّان». .

ومن أشهر مجموعاته القصصية فى أدب الأطفال «طائر الزرزور»، و«الأسد البغل»، و«مدرسة الأشجار»، و«الأمير الصغير»، و«الطائر الصدَّاح»، و«الطائر ذو الموتور»، و«لغة الطيور».

وقد تم ترجمة بعض هذه الأعمال إلى عدة لغات.

المترجم :

- صبري توفيق همام .
- تخرج في كلية الآداب سوهاج ١٩٩٢م .
- حصل على الماجستير في الأدب التركي .
- حصل على الدكتوراه في الأدب التركي ٢٠٠٢م .
- له العديد من المقالات والأبحاث بالعربية والتركية .

المراجع :

- أ . د/ الصفصافي أحمد القطوري .
- أستاذ اللغة والآداب التركية في الجامعات المصرية والعربية .
- له العديد من الأبحاث والمؤلفات والترجمات التي تدور حول الثقافة والحضارة العثمانية والتركية الحديثة والمعاصرة .
- حائز على جائزة الترجمة حَوْل الترجمات الإبداعية في الأدب الإسلامى .
- نقل العديد من الأعمال الإبداعية التركية المعاصرة إلى اللغة العربية .

obeikandl.com

الفهرس

القسم الأول : **الصفحة**

- الرِّحْلة ٩
- كُوب لبن ٢٩
- شُكُوك ٤٢

القسم الثانى :

- الأَسَدُ البغل ٤٧
- هُجُوم على موقع الحدث ٥٧
- اقتفاء الأَثر ٦١
- حُقُول الرَّوث ٧١
- أثر جَدِيد ٧٦
- الاكتشاف العبقرى للخبير كِيرويسْتُوف مُولُوبِى . ٨٤

القسم الثالث :

- البَيْدَاء ٩١

obeikandl.com

obeikandl.com

القسم الأول

الرّحْلة

خرج الأَسَد مع الثعلب في رحلة إلى بلاد قريبة، وقالا: نحن حيوانات طيِّبة ؛ لأن معارفنا وخبراتنا تتزايد ، وحملا حقائبهما على حمار وبغلٍ، وكانا يقولان: إنهما عندما يقومان بالرحْلة سويًا، ويتاجران معًا، فإنهما سيُصْبحان صديقين، وقبل أن يخرج الأسد والثعلب إلى الرِّحْلة جلسا ودار بينهما حوار جميل، حيث سأل الأسدُ قائلًا:

– يا صديقي العزيز، أيكون من الأفضل أن نُقَسِّم الأَعْمال بيننا أم يقوم كل واحد منا بكل الأَعْمال على حدة؟

فخطب فيه الثعلب قائلًا:

– سيدي يبدو أنه من الأنْسب أن نُقَسِّم الأعمال فيما بيننا، على أن نضع في الاعتبار الخصائص المختلفة لكل منا، وإني أخشى أن تُثْقِل كاهل جَنابكم تلك الأعمال الثِّقال وتبقى لي الأعمال الخَفيفة، فلو ترى أنه مناسب فسوف أقوم أنا بكل تلك الأعمال بالترتيب مهما تكن .

– قلت الصواب يا صديقي الثعلب، كما تقول دائمًا، وفى

هذه الحالة عليك أن تعد العدَّة للسفر، كما يفعل أي شخص.

ولكن بمجرد أن نخرج علينا أن نقوم بكل أعمالنا بالترتيب والتناوب.

وبعد أن قررا هذا بدآ في الاستعداد، وأعدَّ كل واحد منهما ما يلزمه في الطريق طبقًا لإمكانياته و بما يتناسب معه.

وفى صَباح الرِّحْلة جاءا إلى جوار بعضهما ؛ ليتفقدا حمولة كل منهما، فالثعلب وجد لنفسه حمارًا شجاعًا. ووضع عليه خُرْجَيْن، ووَضع على رِدْفَيْه بَرْدَعة وآنية طعام وخَيْمة متنقلة، وكوريكًا للحفر وحبلًا غليظًا، وثيابًا للصيف والشتاء، ومَراهم ومساحيق، وفُرْشَة أسنان، ومَنْشَفات وبُرْنُس حمام. . . . . والخلاصة ؛ أنه جمع كل مستلزمات الرحلة. نستطيع أن نقول كأن الثعلب سيتزوج لأنه أعد لنفسه جهاز عروسة متكاملًا.

أما الأسد ؛ فقد وجد لنفسه بَغْلًا شُجاعًا، وركب عليه كالباشاوات، ووضع عليه خُرْجًا صغيرًا يشبه الحقيبة الصغيرة، ووضع به بعض خِلَّات الأسنان الكبيرة، ومنديلين، وآلة لاستخراج النُّخاع من العظم، ونظارة للقِراءة، وأخرى ينظر بها للمسافات البعيدة، وبعض الدراسات عن النُّمور المشهورة في عالم الحيوان، وبعض الروايات العِلْميَّة، وشَمْسِية ذات ألوان فاتِحة، وآلات رياضية قوية لتقوية العضلات. وبعد أن

نظر كل واحدٍ منهما إلى الآخر كثيرًا ، قال الأسد :

– يبدو أن هناك فارقًا كبيرًا بين حُمُولَتينا ، فماذا يوجد في خرجك يا صديقي العزيز ؟

رد الثعلب :

– توجد أشياء كثيرة جدًا .

قال الأسد :

– وما تلك الأشياء ؟

سأبدأ في عدها الآن ، ولو أن لديك صبرًا ، فسوف أَنْثرها وأجعلك تراها جَمِيعها .

– لنرَ . . .

نثر الثعلب حُمولته كلها . وفَرَدَهَا واحدة واحدة فوق الأعْشَاب .

كان الأسدُ يُتابع باهتمام صديقه العزيز ، ويهز رأسه بإعجاب .

وكان يقول :

– صَحِيح ! صحيح جدًا كيف فكرت في كل هذه الأشياء؟

– وما هذه ؟

obeikandl.com

أنا لا أفهم أبدًا ما الذي ستفعله بها؟

– ما هذه يا سيدي ؟

– إنها خَيْمة متنقلة !

– خَيْمة ؟

هل ستنام في الخيمة ليلًا كما يفعل الآدمِيُّون ؟

تَوقف الثعلبُ لحظة ؛ كاد يقول «نعم» لكنه تَراجع بسرعة ، وانتظر كيف سَيجد مدخلًا مناسبًا .

هو ينام في الخيمة في حين أن الأسد الكبير ينام على التراب .

إن هذا الأمر به شيء من قِلَّة الذوق ، لكن ربما تكون لها قيمة ، فلماذا لا تكون له هو أيضًا خيمة ؟ إن هذا هو ما كان يُصَعِّب الأمر .

فقاطعه الأسد قائلاً : « مفهوم ، مفهوم» . ثم سأل عن الأشياء الأخرى بالترتيب .

وكلما سأل عن شيء كان الثعلب يَتَعَثَّر في الإجابة .

وكان غالبًا ينظر بسَذاجة ، دون أن يُجِيب ، وعندما يحاول أن يتحدث يُقاطعه الأسد قائلاً :

« مفهوم» . . « مفهوم» .

وبعد أن ألقى نظرة على مُعْظم الأشياء قال الأسد للثعلب :

– هل تُريد أن ترى أنت أيضًا أشيائي .

– فقال الثعلب : كما تشاء يا سيدي؟

ووقف أمامه ، وأمال رأسه جانبًا وانتظر ، وفى بعض ثوانٍ أراه الأسد ما بحقيبته .

– وقال : هذه كل أشيائي . ثم استدرك قائلًا : « لقد نسيتها . . ها هي أيضًا البُنْدُقِيَّة » .

ثم لف بجسمه وجَعل الثعلب يرى البُنْدُقِيَّة التي يعلقها على كتفه .

– فقال الثعلب : حقًا ، إنها أول مرة أشاهد فيها حيوانًا يخرج للرحلة مُسَلَّحًا .

إنك تتصرف وكأنك إنسان تمامًا .

فقال الأسد : عليك أن تتصرف تمامًا مثل الإنسان وأنت تُفَكِّر في مؤن الطريق .

هز الثعلب رأسه في وقار الحُكَماء وأضاف : هذا صحيح . كما أننا حيوانات سامية ، حيث توجد بيننا وبينهم علاقة من ناحية النسب .

كما أننا نتشابه مع الإنسان الذي هو مَخْلوق أَسْمى منا. وبالتأكيد تتزايد درجاتنا في هذه العلاقة. وعلى الفور أيَّده الأسد في رأيه، وضحك ضحكة خَفِيفة من تحت شاربه على سَذاجة الثعلب.

وعاد الأسد ليصافِح الذين أتوا لتَوْدِيعه واحدًا واحدًا، فكان يصافحهم ويهز أيديهم كما يهزون يده.

ثم خرجا إلى الطريق.

وكان الوقت موسم الربيع، وكانت الغابات والحقول والحدائق والأنهار في أحسن وضع للرحلة.

مد الأسد شفتيه الغليظتين إلى الأمام، وكأنه طفل منسجم، وبدأ يُطلق الصفير من شفتيه المستديرتين الكبيرتين.

– فقال الثعلب: «واااه» .. «واااه»، سَوْف تَجْمع الشياطين على رءوسنا.

فقال الأسد: هل قلت شيئًا يا صديقي؟

– فقال الثعلب: نعم يا سيدي. لقد كنت أحدث نفسي.

– ألم تقل لي شيئًا؟ وفيما كنت تفكر إذن؟

– يقولون: إن الصفير شيء سيئ يا سيدي.

– يااااااااه، في هذه الحالة أنا لن أُطْلِق الصَّفير مرة أخرى،

وشكرًا على تنبيهي يا صديقي .

وصمت الأسد المَهيب وحنى الثعلب رأسه له في احترام . وبدأ الأسد يغنى أغنيةَ المدرسة ، فانضم إليه الثعلب ، وبعد أن انتهيا من الأغنية سأل الأسدُ الثعلبَ :

– أين تعلمت هذه الأغنية؟

– فقال الثعلبُ : يا سيدي إن منزلنا قريب من مدرسة الأسود . وكنت أسمع هذه الأغنية ، ولكن حتى الآن لم تُواتيني الجرأة أن أغنيها .

– ولماذا ؟

– لكي لا أفتح على نفسي أمرًا إذا سمعني أحدكم .

– وهل ممنوع على الثعالب أن تُغنى أغاني الأسود؟

– لا أعلم يا سيدي ، فماذا تأمرني؟

– لو كان الأمر هكذا تستطيع أن تُغنيها معي .

– فقال الثعلب : كم أنت محق يا سيدي ؟

استمرا في رحلتهما بدون أي أحداث إلى ما بعد العصر ، ثم وجدا مكانًا جميلًا يطل على الماء لكي يستريحا فيه وحطا رحالَهما . وقال الثعلب : أنا سوف أُعد الطعام . وجلس الأسد متكئًا على شجرة ، وأخرج لنفسه كتابًا وهو يتابع بشغف شديد

obeikandl.com

الطعام، الذي يعدُّه الثعلب. لقد كانت المرة الأولى في حياته التى يؤتى إليه بطعام ويُوضَع أمامه.

وبدا في أول الأمر كَأنه يمر من أمام عَيْنَيْه خيال بعض الأرانب السمان.

ولكن ماذا كان عليه أن يرى؟!!

لقد كان في يد الثعلب شيء مَطْوي ، وقد مَال عليه شيء آخر. وكان الثعلب يعمل بلا هوادة ودون توقف، وغطاه العَرَق .

وبعد قليل ترك العمل ورفع رأسه في يأس، وبدا كأنه يُريد أن يُساعده أحد! فقفز الأسد على الفور لأنه لا يوجد أحد غيره في المكان، هل لديك أي سؤال يا صديقي العزيز؟

– نعم يا سيدي، هل تستطيع أن تفتح هذا الشيء الذي لا أستطيع فتحه ؟

– أفْتَح هذا ؟

ونظر الأسد في ارتياب، وحاول أن يمسك شيئًا آخر لكي يفتح ذلك الشيء.

لأن مخالبه لم تكن مُناسبة أبدًا لهذا الشيء وتَحَمَّس من جديد.

ما هذا الشيء يا صديقي؟ وما الذي يَشْغلك به؟ ألا يكون من الأفضل أن تنشغل بطعامنا؟ وتترك هذا إلى ما بعد ذلك. هاااااه ما رأيك ؟

– فقال الثعلب: لا يُمكن يا سيدي لأنه طعامنا؛ فسوف نأكل هذا الشيء.

ألقى الأسد بما يُمْسكه بخوف، فألقى عُلْبَة الطعام المَحْفوظ والفتَّاحة المَعْدنيَّة على الحَصَى والأحْجار فَتَدَحْرَجَت؛ مما أحدث ضَجيجًا، وأخذ الأسدُ يضرب الصفيحة بقدميه وهو يرتعش ارتعاشًا شديدًا والتصقت أسنانه ببعضها، لكنه تماسك وقال للثعلب :

– يا صديقي العزيز عليك أن تُوضح لي تلك الحيلة كيف أننا سنأكل الحديد والقصدير؟!

– فقال الثعلب: أرجو أن تكون صبورًا يا سيدي، فاليوم سوف نأكل المُعلَّبات ، التي هي من الاختراعات الكبرى للإنسان.

– هل هذه مُعلَّبات ؟ تلك العُلْبَة المصنوعة من الصفيح!

– اسمح لي يا سيدي، فإن ما تراه من صفيح هو القسم الخارجي، يعنى أنه غلاف .

ولو جردنا هذا الغلاف الصغير سنجد بهذه العلبة بعض الأشياء التي تَصْلح للأكل .

– فقال الأسد : يااااااااااااااااااااه ، ، اااااااه .

يعنى على قدر ما فهمت أننا عندما نفتح هذا الغلاف الصَّفيح الصغير سوف نجد ما نأكله ، فهذه خارقة ، لقد صنع الإنسان غلافًا سحريًا . أليس كذلك ؟

– بلى ، كذلك إلى حد ما .

يعنى عندما نَفتح هذا الغلاف الصَّغير سوف تقفز من داخله الأرانب ونحن نقبض عليها في الحال ، أليس كذلك؟

لو أذنت لي دقيقة يا سيدي فإنها ليست أرانب ولا غيرها ، فهذه العلبة بها أشياء مَطْهُوة ومُعَدَّة .

– وما هي ؟

– كل الخضراوات والفواكه .

– ولحوم أيــضًا؟

– وهل يمكن أن تكون دون لحوم؟ بالتأكيد لحوم أيضًا .

– كم أنت على علم يا صديقي .

ولكن هناك شيء لم أفهمه بعد؟

– لو افترضت أنني فتحت هذا الغِطاء فكيف يسع الطعام؟

obeikandl.com

– لا يسعه؛ لأنه قليل ولكن يمكن أن نُضِيف إليه شيئًا أو شيئين لزيادته.

– فلنستخرجه؛ فإنني مُشتاق جدًا للمعلبات التي هي من اختراع البشر.

وهز الأسد لِبْدَته ، وفتح العلبة بيده وكان بها أربعة كيلو من الطعام المَحْفوظ. وبمجرد أن فتح العلبة لمس الزيت ، لقد كان شديد الصفار فغمس إصبعه في الزيت ثم وضعه في فمه محاولًا أن يتذوقه في شغف، فامتص وبصق على الأرض.

– قال الثعلب: يا سيدي ، لا بد أن يُسَخَّن ، لو أذنت أنا سوف أعدُّها وآتى بها .

فقال الأسد: وهو كذلك.

وعاد إلى مكانه في وقار. . انتظر وانتظر، وفى النهاية دُعِي إلى مائدة أرضية كبيرة في مكان واسِع وعلى المائدة طاسَة ساخنة.

وبجانبها بَصلتان كبيرتان ورَغيفان من الخُبز، فجلس على المائدة في هدوء، وأمسك بمخلبيه الطبق وغاص بفمه في الطعام.

لقد كان ساخنًا وعديم الطعم، وقد احترقت شفتاه، وحتى لا يخل باللياقة ملأ فمه، أخذ يمثل كمن يمضغ . لقد

obeikandi.com

كانت الأطعمه زيتية، ثَقيلة القَوام مثل حلوى «المهَلَّبِيَّة»، لقد كانت أشياء كأنها متعفنة، لكن الأسد اعتدل ومسح فمه بشكل مهذب بالفوطة الذي يضعها على ركبتيه.

ثم شرب كوب ماء كبيرًا، وبعد فترة انتظر الثعلبُ أن يستمر في تناول طعامه ، وعندما لم يبدأ قال الثعلب: سيدي لا بد أنها لم تُعجبك. هلا أكلت قدرًا قليلًا وإلا ستظل منهكًا فهذا المقدار لا يكفى.

قال الأسد: استمر أنت يا صديقي العزيز.

فقطع الثعلب لقمةً من الخبز وغرس فيها الشَّوْكة ثم غَمَس الخبزَ في قليل من الصَّلْصَة، ووضعها في فمه، وأخذ عليها ملء ملعقة من الخضار المتنوع ومَضَغها ثم بَلَعها، ثم جفف فمه بالمنشفة، ومد يده ليأخذ لقمة ثانية.

وكان الأسَد يتابعه وهو يضحك ثم احتد طبعه وتحركت شهوة الجوع، وبرقت عيناه ، ولكنه انتظر بصبرٍ ، وعندما أنهى الثعلبُ طعامه قال:

– لو لم أكن مخطئًا فإنك ما زلت جائعًا؟ واستمر فى حديثه.

في المرَّة القادِمة سوف أقوم بإعداد الطعام الذي تستطيع أن تأكله.

وبعد أن قال ذلك مباشرة جمع المائدة وذهب جريًا إلى جانب الماء وغسل الأشياء المتسخة ببقايا الطعام. وبعد أن غسل كل شيء جاء بسرعة إلى جوار الأسد .

فسأل الأسد قائلاً :

– هل أنهيت أعمالك يا صديقي العزيز؟

– نعم أنهيتها يا سيدي ، هل تريد فنجانًا من القهوة؟

– بالطبع ، فأنا دائمًا أشرب القهوة بعد الطعام .

– عادي جدًا ، فسوف أعدها لك حالا .

– ولكن أنا قلتُ : إني أَشْربها بعد الطعام . .

وبعد أن قال ذلك مباشرة، اقترب من الثعلب وأمسكه من يده بقوة ، فارتعد الثعلب من الخوف وهرب الدم من كل أطرافه وكأن حاله يقول : «ها هي قد اقتربت النهاية» .

لكن لا ؛ فقد أمسك الأسد بالثعلب من خِصْره، وجرى به إلى مكان قريب ، وبعد خمس دقائق أشار له بمخالبه إلى مزرعة وقال له :

– يا صديقي العزيز ، أنا لا يُمكن أن أَذْهب وأعود بجسمي الضخم هذا دون أن يراني أحد ، فاقفز أنت وأحضر أرنبين أو ثلاثة وبعض الدجاج أو كما تَقْدر أنت ، فأنا أعتقد أنها سوف تكون وجبة غذاء خفيفة .

obeikandl.com

فقفز الثعلب إلى الأمام بسرعة طائعًا لأمر الأسد من الخوف ولكنه عاد في الحال.

كنا قد قلنا لا بد أن نتسلق الجدران العليا التي أوجدها الناس، ولو لم أكن مخطئًا فإن سيادتكم بالذات قد انضممت إلى هذه الفكرة الأصيلة، فهل ما سمعته خطأ يا ترى؟ و الآن لو سمحت لي هل تُريد منى أن آخذ أي شيء من أشياء المزارع الخاصة بالناس؟

– فقال الأسد مُزَمجرًا: يا صديقي العزيز، ألم تجد شيئًا مفيدًا هناك؟

– حاشا لله يا سيدي. أنا لم أقل إن ما وجدته غير مفيد، وإنما أردت أن أقول: إن الناس لا يسرقون شيئًا من مزارع بعضهم، ولا ينظرون إلى اللصوص نظرة حسنة.

اسمع يا صديقي. نحن لسنا لصوصًا، لو أن أي إنسان فعل مثل ما نفعله نحن، يمكن أن يُقال عليه لص، أو يمكن أن يُقال عليه بطل، وعلى حد علمي أنه يمكن أن يُطلق عليه هذا الاسم أو ذاك، على أي حال؛ فإنهم بشر والأمر بالنسبة إلينا يختلف، فكِّر كذلك.

والآن ماذا سيحدث لو خرج رجلان أو ثلاثة؟

فقفز الثعلب من مكانه وظل يتلفت حوله. فقال الأسد:

obeikandl.com

استمر يبدو أن هناك شيئًا ، إنهم لا يفرقون بيني وبينك، فبمجرد أن يروا أحدنا فسوف يفكرون في قتلنا، ويحاصروننا بالبنادق ولن يتراجع حتى أطيبهم عن قتلنا، أليس كذلك؟

هل تقول إننا نختلف مع بعضنا بعضًا بسببهم ويقتلون كائنًا حيًا مفعمًا بالحياة مثلك، فلماذا يفعلون؟

لو أن أحدهم مثلي، فهل يأخذون لحومنا؟

إن كانوا لا يأكلون لحومنا فماذا سيفعلون بها؟ انظر إلى صدري هذا وإلى ذراعي هذين وإلى عيني وإلى فمي الذي يتحدث وإلى لساني، فهم يقتلونني ويسلخون فرائي ويلقون جسدي إلى الذئاب والعقبان والغربان، فهل هذا يرضيك ؟

– فقال الثعلبُ بدهشة : لا يرضيني.

– طالما لا يرضيك اذهب وأحضر أرنبين أم أنك تخشى أن يراك الناس ويعيبوك؟

– شيء كهذا يا سيدي.

– لا يهمك، بسرعة اذهب وأحضر ما اتفقنا عليه.

فإن هذا هو ما يلزمه عملنا وطبيعتنا !

وهناك شيء آخر. . لا أريد أن أرى الطعام الذي يؤكل باليد اليسرى والشوكة . . حاول يا رفيقي . . وتصرف كثعلب . . كما أتصرف أنا كأسد . .

– وهل سأعمل وأحاول لأجل من هو الأعز من الأسد !

وقفز الثعلب وذهب .

حاول عدة محاولات، وأطلقت عليه الرصاصات التي خَدشته، وبعد ذلك أحضر ثلاثة أرانب وأربع دجاجات وديكين وألقاهم أمام الأسد.

وحينما كان الأسد يُصَبِّر نفسه بأكلهم، غَسل الثعلب جروحه وقال متمتمًا:

لو أن كل يوم سيكون هكذا، فإن الأمر سيكون مُتعبًا وخطيرًا بالنسبة إليَّ.

وفي الوقت الذي كان الأسد فيه يَمْضغ الدم واللحم في فمه تمتم قائلاً: هل تقول شيئًا يا صديقي العزيز؟

– فقال الثعلب: يا سيدي أفكر أنه لو استمر الأمر هكذا كل يوم، فأنا لن أستطيع أن أصبر أكثر من ذلك.

– فقال الأسد: لا عليك فلن يكون ما قلناه مشوشًا عندما تقلع عن تلك الأطعمة التى تُسمى المعلبات، وتأكل من الطعام نفسه الذي أكلت منه أنا؛ فإنه عَمَلِي أكثر وغير مكلف، ونتخلص من غسل الأواني .

– فقال الثعلب: إنك على حق يا سيدي، وفى الوقت نفسه صرخ صَرْخة مدوية و قال: آ١١١ه «تبًا . . إنهم الناس».

obeikandl.com

– هاااااه اااااااا . إني أرى أنك تُطلق صرخات الفرحة عندما ترى الناس وأنت في حيرة . .

– ولكنهم مُسلحون ويتقدمون وهم ينظرون إلى هنا وتسبقهم أسراب كلابهم ، ولن يستغرقوا نصف ساعة ويصلوا إلى هنا .

– قال : في هذه الحالة عليك أن تستعد .

وفى هدوء جمع الثعلب كل الأشياء حوله وحمَّلها على حماره بسرعة .

وكان الأسد قد ركب على بغلة من زمنٍ وانتظره ، وكان الناس المُسلحون وكلابهم قد اقتربوا كثيرًا . وبدءوا يبتعدون عن المكان ، ولكن المسافة كانت تضيق باستمرار ، وكان الأسد يُوقف بغله خلف صخرة ، والثعلب كان يضرب الحمار للهرولة دون توقف . والأسد عندما رأى أنه لا يأتي وقف ، وبدأ ينظر إليهم ، وبَرَز فجأة للكلاب الذين يقتربون منه من خلف الصخرة ، كانت الكلاب ترى هذا الشيء العَجيب لأول مرة في حياتها ، فبهتوا عندما ظهر لهم . لقد رأوا البغل كثيرًا ولكن لأول مرة يُرى فيها الأسد البغل . فظنوا أنه حيوان آخر مختلف ، فلاذوا بالفرار ، حتى إنهم هاجموا أصحابهم الذين حاولوا أن يوقفوهم ، ولم يأخذوا أنفاسهم إلا بعد أن وصلوا إلى المزرعة .

obeikandl.com

ومع ذلك ظل الناس يتقدمون حتى رأوا « الأسد . . البغل» فتجمدوا هم أيضًا وبهتوا ، وحاول أحدهم أن يرفع بندقيته لكنه كان يرتعش ، فلم يستطع أن يسحب زناد البندقية ، فقدر الأسد هذه الفرصة جيدًا واستغلها ، وأمسك الرجل الذي خلع البندقية من كتفه وضربه في بطنه وألقاه أرضًا .

وكان هذا سببًا كافيًا لرعبهم .

فخرجوا جميعًا كالمَجانين ولاذوا بالفرار ، فألقوا أسلحتهم على الأرض ولم يتوقفوا وكانوا يصيحون : النجداااااااااااة ، وتركوا صديقهم الجريح لعَدَالة الأسد البغل ، فجاء الأسد إلى جانب الثعلب وهو يَضْحك وقال : هل رأيت الناس المحترمين الذين كنت تَحْترمهم؟ ماذا أرادوا أن يفعلوا بنا؟

– لكن نحن أخذنا تسعة رءوس من مزارعهم في مرة واحدة .

– فقال الأسد : لا فرق فكيف رَأونا وكيف اقتفوا أثرنا ، ولكن من الممكن أن يتبعونا بعدد أكبر وسلاح أكثر ، فعليك أن تقفز ، وتجمع السلاح الذي ألقوه على الأرض ، وتحملها على حمارك وتراقبهم . .

فقفز الثعلب ونفذ ما قيل له في الحال ، وجمع السلاح .

كان الصياد الجريح قد سقط فوق سلاحه . فلم يشأ الثعلب أن يأخذه متخوفًا .

وفي هذه اللحظة قال الأسد محذرًا الثعلب: خذ هذا السلاح أيضًا.

فاقترب الثعلب من الصياد وهو خائف، وكان الرجل يتلوى وينظر بعينه كالمجنون إلى الثعلب الذي أمسك ماسورة البندقية وحاول سحبها، لكن الصياد كان مستلقيًا على السلاح بكل ثقله. فحاول الثعلب مرة أخرى وكان يرتعش ارتعاشًا شديدًا..

لم يكن هو الذي يرتعش وحده لقد كان الصياد أيضًا يرتعد ارتعادًا ملحوظًا. وعندما رأى الثعلبَ يحاول أن يأخذ السلاح، حاول أن يتغلب على آلامه ويسحب منه سلاحه. وعندما حاول الثعلب أن يأخذه منه ظل كل منهما يُحَملق في الآخر من الدَّهْشة.

أما الأسدُ فكان ينظر إلى هذه المشاهد ببرود تام وهو يضحك ملء شدقيه.

وعندما حَمل الثعلب الأسلحةَ التي جَمعها على الحمار. أمسك العِنان ونظر إلى الأسد، فأخذ الأسد قراره بالمُغادرة وهو راكب على ظهر بغله القوي.

وابتعدوا عن هذا المكان بسرعة. وكان الثعلب ينظر خلفه من آن لآخر، أما الأسدُ فأخذ يترنم بموال... بصوته الأجش.

كوب لبن

وبعد فترة طويلة :

– قال الأسدُ للثعلب : يا صديقي العزيز أرى أنني لا أستطيع أن أخطو خُطْوة واحدة من كثرة التعب وأنت حتى الآن لم تطلب أن تأخذ قسطًا من الراحة كالمرة السابقة ، هلا سألتك عن السبب ؟

– فقال الثعلب : أعتقد أنه كان لا بد أن نبتعد من هنا أو من هناك .

– فقال الأسد : مِن هنا أم من هناك ؟

– لم أفهم ياسيدي .

– فقال الأسد : من وجهة نظري أننا ابتعدنا منذ ساعات عن المكان الذي كان يجب أن نبتعد عنه .

يعنى أننا أصْبحنا في أمان ، فقد ابتعدنا عن هناك .

– حقًا . . ؟

– نعم حقًا .

– يعنى لا توجد خطورة . لو أخذنا قِسْطًا من الراحة ؟

obeikandl.com

– لا ، لا توجد خطورة .

– فهلا سمحت –إذن– بقسط من الراحة .

– فلنأخذ قسطًا من الراحة .

– وبعد أن أنزلوا أحْمالهم من على الحيوانات، خارت قوى الثعلب .

أما الأسدُ فقد اتكأ بظهره على جذع شجرة عريضة، وأَخذ يُراقبه .

– وضع الثعلب الطعامَ أمام الحيوانات، وبعد أن حدد مكانًا للمعسكر ونَصَبه جاء أمام الأسد وهو يلتقط أنفاسه . . نفسًا نفسًا . وسأل عن شيء كان يُقْلِقه :

– سيدي ماذا أعد لك في العشاء ؟

– فكر الأسد قليلاً ، حيث توقف ونظر إلى الثعلب وهو يفكر، والثعلب ينظر إليه بقلق، وينتظر ماذا يقول له .

لم يتماد الأسدُ كثيرًا وقال: لقد أكلت كثيرًا في الغداء. نحن معشر الأسود، لسنا مثلكم نأكل في مرات عديدة، فنحن نأكل في مرة واحدة، ولكن نأكل كثيرًا. يعنى باختصار يا صديقي إنني لا أستطيع أن أضع لقمه في فَمي لبضعة أيام.

فبرقت عينا الثعلب من السَّعادة وقال: في هذه الحالة أستطيع أن آكل ما تبقى في عُلْبَة الطعام المحفوظ المتبقية من وجبة الغداء، وبعد ذلك أذهب إلى النوم.

– فقال الأسد: وهو كذلك يا صديقي العزيز، ولكني أود أن أحكى لك عن عادة بَسيطة وصغيرة جدًا كنت قد تعودت عليها، لقد عودتني أمي أن أشرب قبل النوم طاسة من اللبن وسوف أكون ممتنًا لك، إذا أتيتني بها بعد أن تنهي أعمالك.

– حَمْلقت عينا الثعلب وأصبحتا كصحن ناظر الفال، سيدي لم أفهم ، هل قلت طاسة من اللبن؟

– نعم ببساطة قلت طاسة: ولو تُريد أن تجعلها أكثر نُبْلاً وتأنقًا وتجعلها أكثر ترفًا.

نستطيع أن نقول عليها : كوب من اللبن!

– ما دمت تفضل ذلك التعبير، فلنقل عليها: كوب من اللبن.

– لكن يا سيدي أنت تعلم أنه لا تُوجد هنا مُؤن كهذه ولا يمكن تداركها . .

– أنا لم أفهم هذه الكلمة يا صديقي الحكيم. فهلا وضحتها لي؟

– قلت مؤن «يعنى ما نعده مسبقًا» .

– هل نحن نَمْلٌ يا صديقي العزيز؛ حتى نعد مسبقًا ما سوف نأكله. وعندما نجوع نأكل مما اختزناه .

نحن نخرج للصيد يا صديقي . .

– لا أعلم أن . . . . . .

– أنك ستلجأ إلى المُؤن المُعَلَّبة. أليس كذلك؟ لا تفكر بي أنا . .

– فأخرج الثعلب من بين الحمولة العُلْبَة التي فتحها نهارًا وأمسك في يده مِلْعَقة ولكنه لم يجد فرصة أن يضع الطعام المحفوظ في طبق، فأكل سريعًا وبصعوبة بعض ملاعق ثم مَسَح فمه باحترام كما تَعود على ذلك، ونظر إلى الأسد وعيناه مغرورقتان بالدموع.

– فسأله الأسدُ: هل أنت جاهز . . ؟

فقال الثعلب بصعوبة: . . نعم.

فنهض الأسـدُ في قفزة واحـدة، وأخـذ يسترقُ السمع ويتشمم ، وأمسك الثعلبَ من يده وبدأ يجره؛ وبعد أن تجاوزا بعض التباب وخيم عليهما ظلام المساء أشار الأسدُ بمخلبه إلى حظيرة وقال بصوت جهور:

ها هي ،هيا اقفز الآن فهم يحلبون اللبن في هذه الحظيرة دلـوًا وراء الآخر، وإني أخجل أن أشرح لك كيف ستأخذ واحدًا منهم وتحضره، فأنت- ما شاء الله- كشيطان. هيَّا . . لِنرَ. .

قفز الثعلبُ دون تأخير، ولكن هل فكر في أن يبتعد عن هنا حتى لا يعود مرة أخرى وينجو برأسه ؟ لا، لم يفكر أبدًا في شيء كهذا، فقد أدمن أن يكون عبدًا وله سيد إلى نهاية عمره، وكان يعتقد أنه لن يجد لقمة تغذيه بعيدًا عن الأسد.

ظهر أمامه سنجاب صغير. . وكان يحادث نفسه مؤكدًا على أنه ما زال حيوانًا مفترسًا. وبهذا التأكيد هاجم السنجاب. . ومزَّقه بسهولة. . وابتلعه فى معدته. . ولَعِق فمه. . وانتظر أن تتسرب إلى دمائه حرارة وحيوية السنجاب. . وتوجه نحو المزرعة. .

- وكان يشع ضوء خافت من باب الحظيرة المفتوح ؛ فتخفى الثعلب ومشى على أطراف قدميه، وكانت السيدة تحلب العنزة وهى مربوطة. ولا داعي لأي حيلة ؛ فليس لدى الثعلب أي وقت لذلك فمظهر العنزة يدل على أن لبنها سيكفى ويزيد، وعندما رأته العنزة أجفلت وتراجعت للخلف، فأسرعت

المرأة ناحيتها وأسرعت عدة مرات إلى الخلف فانقلبت على ظهرها، فكانت فرصة للثعلب. الذي وصل إلى الإناء وأمسك به، وانطلق عائدًا إلى المعسكر، فرأت المرأة خيال الثعلب فقفزت خلفه خارجة وهى تَصيح ، وحينما بدت على هذه الحالة؛ اجتمع حَوْلها كل رجال المَزْرعة وكل نسائها وأطفالها. ومهما حاولت المرأه أن تَحْكى ما حدث، فلا أحد يُريد أن يصدقها فأين يمكن أن يرى أحد ثعلبًا يسرق إناء اللبن، ولا يسرق الدجاج والديوك.

– ولكن هذا ما حدث! فخرج الآباء والشباب ليستكشفوا ما حول الحظيرة. وجعلوا المرأه تستطلع بنفسها عدة مرات وفى النهاية لم يفعلوا شيئًا وذهبوا إلى فراشهم ويشغلهم هذا الأمر كأنه لغز، ولم يستطع أحد منهم أن ينام حتى الصباح.

– فقال الأسد: أخيرًا استطعت أن تأتي به. هاااااااا، هكذا يا صديقي العزيز! لكن في الحقيقة اللبن فاتر قليلًا وأنا أفضل أن يكون بين الحار والفاتر لكن لا ضرر.

ألا تعلم كيف كانت أمي تعد اللبنَ؟ كانت تُغْليه جيدًا في البداية، ثم تتركه ليبرد وعندما يصبح فاترًا تلقى فيه ملعقة سكر كبيرة ثم تحضره وتقدمه لي؛ وأنا لن أحكي لك كيف

كانت إناث الأسود ماهرة في هذا، وكنتُ أشربه على مهل، وأتلذذ به إلى آخر قطرة. ولنرَ هل سيكون كذلك هذه المرة؟

– فقلب الثعلب أشياءه بسرعة، فوجد كيس سكر فملأ ملعقة كبيرة بالسكر وألقاها في اللبن . وقدمها للأسد فشرب الأسد بتأنٍّ وقال:

– «أوووووووه» جميل جدًا وكأنني لم أشرب مثله قط، ترى هل كانت تعرف أمي مسألة «المؤن» هذه ؟ ومن قال لها يا تُرى؟

وكان الثعلب في منتهى السعادة لأنه حقق السعادة للأسد إلى هذا الحد، فنسي تعبه.

أما الأسد فتزحزح من مكانه وذهب إلى جانب بعيد ونام، وبعد بضع ثوانٍ نام الثعلب هو أيضًا، ولكن لم يلبث بضع دقائق أخرى حتى فتح عينيه، فقد تذكر الذين كانوا في المزرعة، وكان يعتقد أنه من المؤكد أن الناس سوف يلحقون به والسلاح في أيديهم ؛ لأنه سرق اللبن من المزرعة.

فأمسك في يده سلاحًا وهو خائف، ولكن كيف له أن يعرف استخدام هذه الآلة. فأمسك به متقاطعًا على جسمه وتولى نوبة حراسة حول المُعَسْكر. ولكن عندما أشرقت

الشمس خارت قواه ولم تحمله قدماه فوقع مُغْمًى عليه بالقرب من المكان الذي يرقد فيه الأسد وغاص في نوم عميق. وبعد قليل فتح الأسد عينيه تدريجيًا فماذا رأى؟ رأى بجواره صديقه العزيز يغط في نوم عميق، والسلاح متقاطع على جسمه فأيقظه على الفور وقال الأسد: كيف أنت الآن يا صديقي ؟ وما الذي فعل بك ذلك؟ ما الذي نقلك من على سريرك؟ ألم تكن نائمًا تحت اللحاف القطني؟

فرفع الثعلب جفون عَيْنيه بصعوبة، ونظر إلى الأسد قائلاً: لقد كنت في نوبة حراسة حتى الصباح يا سيدي.

ثم نام في الحال حتى إنه لم يسمع قهقهات الأسد التي ملأت المكان، ووقف الأسد على قدميه ونشط أطرافه واستنشق الهواء وبدأ في تمرينات الصباح، وبدأ في عمل تمرينات الظهر بآلة التدريب العضلي التي أخرجها من حقيبته، وكان يكرر الحركة خمسة عشر ألف مرة. حتى بدأ يتصبب عرقًا، وبدأت أنفاسه تتسارع.

وعندما أنهى هذا العمل بدأ يجري بين الأشجار بخطى سريعة وطويلة، حتى كانت المسافة بين الخطوة والأخرى عشرة أمتار، وفى مكان بعيد جدًا وجد بحيرة فألقى نفسه

بها. وخرج والماء يسيل من جسده، ثم عاد سريعًا بخطوات طويلة مرة أخرى، وصعد على صخرة وواجه الرياح حتى جفت المياه على صدره. وبعد أن جفف نفسه جاء إلى جانب الثعلب ومال عليه وبدأ ينفخ في وجهه. ومن ناحية أخرى كان يقول بصوت رقيق: ما زلت نائمًا يا صديقي العزيز، يا رفيق طريقي.

فاستيقظ الثعلب، وكان ينظر حوله بخوف، فبرق أمام عينيه جلد الأسد وشعره وكان كل شيء حوله يومض، ونظر إلى نفسه فوجد نفسه قد ضعف وغارت عيناه، فجلس وفرك عينيه وسأل:

– ماذا أُعد للإفطار؟

– لا شيء يا صديقي العزيز، علينا الآن أن نخرج للسير، فما زالت هناك بلدان كثيرة علينا أن نراها، سوف نرى جبالًا مختلفة وغابات ومراعي.

– فأعد الثعلب نفسه للرحيل دون تأنٍّ، وكان الأسد يقف ويضع إحدى قدميه على صخرة والأخرى على الأرض ويضع يده على خاصرته، وينظر إلى الآفاق البعيدة وعندما قال الثعلب: إني جاهز يا سيدي.

سار ناحيته وناحية الحمار المُحَمَّل بالأحمال والبغل بخطى متأنية، واستعدا للرحلة.

وحينما كان الثعلب يحد أظافره وينظفها في صخرة كان وجهه لا يعبر عن خير، وعندما بدأ الأمر هكذا؛ أخذ الأسد عنان الحمار المُحَمَّل و سحبه بمخالبه، ووثب على ظهر البغل وعلق سلاحه على كتفيه ثم لوى شفتيه الغليظتين. وبدأ يطلق الصفير!

– وبدأت مَعدة الثعلب تؤلمه من الجوع؛ لأنه تعود أن يأكل ثلاث مرات كل يوم، بالإضافة إلى أنه لم ينم بالليل ولم يأكل لقمة حتى الصباح، وكان يسير بخطى مثقلة خلف الحمار الذي يتعقب البغل طوال الوقت وقال الثعلب متذمرًا:

– كان من الأفضل لو ركبت أنا حماري وتخليت عن كل تلك الأشياء، وعلى الرغم من أن الأسد كان يسبقه بكثير إلَّا أنه أدار رأسه إلى الخلف وكان يضحك منتشيًا وقال:

– هل تقول شيئًا يا صديقي العزيز؟

– نعم يا سيدي. أكاد أموت من التعب والجوع، فمنذ أن حملنا أسلحة الصيادين على الحمار لم يبق لي مكان، فَتُرى هل نستطيع أن نتخلى عن جزء من هذه الأشياء؟

– فرد عليه الأسد: اسأل نفسك .

– لكن لا أستطيع أن آخذ القرار بمفردي يا سيدي .

– أنت– إذن– محتاج للمساعدة جدًا .

وبمجرد أن قال ذلك قاد بغله حتى جاء إلى جانب الثعلب وفك حمولة الحمار فسقط كل شيء على الأرض.

– عليّ أن أقول لك: لا بد أن تأخذ معك كل الأشياء يا صديقي العزيز.

أولا:

– علِّق واحدًا من هذه الأسلحة على كتفك، واملأ هذه الحقيبة بالبرود.

فأفرغ الثعلب حقيبته على الأرض فنشر الملاعق والشوك والأطباق والأكواب والفوط وعلب الطعام المحفوظ، والمغارف، وماكينة فرم اللحمة. . كلها نُثِرت على الأرض.

– نعم هكذا!، قسِّم البرود على كلينا ، وضعه في الحقيبة، حسنًا، والآن ضع الحقيبة على ظهر الحمار، آاااه هكذا، والآن اصعد واجلس عليها، نفذ الثعلب كل ما قيل له وصعد على ظهر الحمار، وبعد أن سار به الحمار، نظر نظرة إلى الخلف على الأشياء التي تركها خلفه حيث لم يستطع أن يصبر على

obeikandl.com

المشي. نظر إلى الفراش والخيمة المتنقلة، والشمسية وصنارة السمك والحقائب الممتلئة بملابس الصيف والشتاء والمساحيق، والفوطة والبرنس.

وقال نادمًا: كيف تخليت عن كل هذه الأشياء؟

– فقال الأسد: إنك على حق ولكن روحك أهم من تلك الأشياء، أليس كذلك ؟وهش على بغله.

وكان الثعلب ينظر إلى الأشياء التي خَلْفه نظرة، وإلى الأسد نظرة أخرى .

* * *

obeikandl.com

شُكُوك

بدأ الأسد يلوي شفتيه الغليظتين ويُطلق الصفير.

والآن خيم الجفاف على الأعشاب، فكانوا يخرجون للصيد كلما جاعوا، ولكن كان هناك شيء يُقلق الثعلب في أعماق نفسه لو أنهم هكذا يعيشون فلماذا هذه الصداقة ؟ وما الهدف من تجوالهم هذا ؟

وهكذا سببت هذه الفترة جفوة. كم كان الأسد ينام في ليله في غطيط ، في الوقت الذي كانت فيه عين الثعلب لا تذوق النوم من الخوف، وهكذا كان الثعلب يتمتم :

– في الحقيقة أنا لست جبانًا، ولكننى لست معتادًا على النوم على الأرض مثل الأسد. هذا الشيء كالذي ينام في وسط المهالك دون حماية، لو كان الأمر هكذا فقط، فهناك أماكن آمنة لي، كالأماكن المُنْعزلة والمَغارات والحُفْرات في الصخور. ولكن ما هذه اليقظة التي أنا فيها وعدم النوم؟! أصبحت في حرب من تجوالي حتى الصباح وفى يدي هذه البندقية.

أفضل شيء أن أجد وسيلة لإنهاء هذه السياحة، ما دامت لا صداقة فيها، فيجب عليّ أن أشرح أفكاري بوضوح للأسد.

– لكن ليس من الضروري أن أقص له كل شيء، فرفع

obeikandi.com

الأسد رأسه الذي كان يغط في نوم عميق منذ المساء وقال :

– لم أفهم كل ما قلته يا صديقي العزيز ، هل أنت تنوي أن تنهى هذه الرحلة؟

– فقال الثعلب : سيدي كنت أظن أنك نائم .

– ولكني سمعت كل ما قلت .

– حسنًا ؛ وما رأيك ؟ عفوًا سيدي ، فقد كنت تغط في نوم عميق . فكيف سمعت ما أقوله؟ وكنت أقوله بصوت يصعب عليّ أنا أن أسمعه .

– بعد إذنك يا صديقي العزيز ، كان يجب أن أسمع ، لأن نومنا ليس كالنوم الذي تعرفه . أنت عادة تُشبه الأموات عند نومك ، لا تسمع ولا ترى ولا تفكر .

– سيدي ماذا تريد أن تقول؟ يعني أنك عندما تنام تسمع وترى وتفكر .

– إلى حد ما ، ولكن ليس كاليقظة تمامًا طبعًا ، ولكن كل ما يهمني فقط أشياء مثل : اقتراب العدو ، رائحة صيد ، وغيرهما .

– آاااااااه ما دمت قد سمعت كل شيء يا سيدي . فقد أرحتني من صعوبة أن أقول لك .

– ببساطة دعك من تلك الأشياء التي تملأ رأسك وغُطّ في نوم عميق . فكر في أنى سوف أمسك نوبة حراسة تُؤمن كل

obeikandi.com

الأخطار.

– حقًا!سوف تمسك نوبة حراسة ؟

– بالطبع لا . إن ما كنت أقوله منذ قليل كان مزاحًا .

– لكنى لا أفهم سيدي . هل سينام كلانا مرة واحدة .

– هل يمكن أن يحدث شيء كهذا؟

– فقال الأسد مرة أخرى : ما كنت أقوله منذ قليل كان مزاحًا! هيا نم ولا تتماد .

– فوضع الثعلب رأسه على جذع شجرة .

– وبدأ الأسد يغط في نوم عميق مرة أخرى .

– ولكن الثعلب لم تذق عينه النوم وظل في عناء وعذاب بسبب خَوْفه وبسبب غَطِيط الأسد بجواره، وللأسف قضى ليله مستلقيًا على الأرض بدون نوم حتى الصباح .

ولكنه غفا قليلًا عند الصباح، فبمجرد أن استيقظ الأسد أيقظه وقال له بفرح وسعادة :

– هيا يا صديقي الحبيب، ها هو يبدأ يوم سعيد وجديد. انظر إلى إشراق الشمس وانتشار الأزهار في الحقول وإلى تلك الأرانب والسناجب التي تجري، ماذا تقول؟ لو قلت لك إنني أشعر وكأننا في مجاعة منذ يومين، فاليوم أشعر أنني مفتوح الشهية جدًا . فلنُعِدَّ سويًا إفطارًا شهيًا، ولنر هؤلاء الذين يرتعون

يمينًا ويسارًا، فلتقبض على خمسة أو عشرة أرانب، لكن انتبه يا صديقي، إن الأرانب التي يزيد عمرها على الثالثة أو الرابعة تكون سيئة الطعم جدًا. لكن الأرانب الشابة تكون حلوة.

– اتفقنا يا صديقي ؟ فأنا– أيضًا– جوعان جدًا. وأخرج من حقيبته آلات التدريب العَضَلي وبدأ يكرر كل حركة عشرين ألف مرة في صعوبة.

وذهب الثعلب مترنحًا لصيد الأرانب.

وعندما أنهى الأسد تدريبه جفف عرقه ونفض فروته، ثم بدأ يجري بخطى سريعة يبحث عن ينبوع أو بُحيرة يستحم فيها.

وعندما أنهى الأسد رياضته وعاد إلى المُعَسْكر وجد الثعلب نائمًا نومًا عميقًا ووضع ذراعه على رقبة أرنب صغير واحد. فأيقظه على الفور، وسأله بصوت رقيق ما الأمر؟ هل أنت مريض يا صديقي العزيز أم ماذا ؟ فشهق الثعلب (هههه) وقفز واقفًا على قدميه وقال: هذا الذي استطعت أن أجده يا سيدي، ثم استغرقت في النوم عندما أردت أن أذهب لأحضر الثاني.

– آاااااااه. ، هذا يعنى أنك لم تنم ليلة أخرى ؟

– لم أنم يا سيدي !

– هل لا تثق بي ؟

– ليست مسألة ثقة يا سيدي، وليس الأمر بيدي.

– لقد أحزنني هذا كثيرًا وسوف أفكر جديًا في هذا الموضوع، أكمل أنت راحتك وسوف أترك هذا الأرنب لك.

– وبمجرد أن قال الأسد ذلك ذهب يسترق السمع، ويتشمم الروائح، وكان يدير عينيه متخفيًا وباحثًا بين الأدغال، وكان الثعلب يتتبعه من المكان الذي هو فيه، وبعد فترة تقدم متخفيًا إلى مكان تَرْعى فيه الأيائل، تقدم وتقدم ثم بدأ يركض بسرعة.

والثعلب كان يرى الأيائل كالطيف من بعيد، والأيائل أيضًا كانت لا ترى الأسد، ثم رأوه وعندما رأوه بدءوا في الهرب. وبعد مطاردة قصيرة رأى الأسدَ يطير في الهواء ثم حط على ظهر أيل، ثم غابوا عن البصر فيما بين الأدغال، وكان الثعلب يرتعش من أعماقه وظل يفكر خائفًا فيما يحدث هناك.

وبعد أن مرت على ذلك ساعتان، ظهر الأسد وهو آتٍ بخطوات متكاسِلة، وكان يقترب وهو يَبْلع ريقه، ثم بدأ يتكلم شارحًا للثعلب:

– لقد كانت قطعة ثمينة. كان الثعلب الذي نظر من فوق كتف الأسد وعلقت عيناه بالأشجار الموجودة خلف الوادي، تركه جانبًا وتجاهل هذا الشرح، فقد أتى الناس ، لكنهم لم يكونوا مجموعة من الصيادين، بل كان الآتون جيشًا يقدر بآلاف الأشخاص.. ترى من هؤلاء؟

القسم الثانى
الأَسَدُ البَغْل

– أقسم أن الشيء الذي رأيته هو« أسدٌ بغل»!

– فقال كبير الصيادين: دع عنك هذه التعليقات السخيفة. منذ ساعات كنتم تتصايحون وتُطاردون ثعلبًا ماكرًا، وجرى، هل جُرح واحد منكم؟ ثم تقصون علينا هذه الحكاية.

– لقد كانت حقيقة؛ كان مخلوقًا له رأس أسد وله –أيضًا– رأس بغل. شيء غريب. وربما لا يكون كما أقول بالضبط ربما أسد يمتطي بغلًا.

– أقول: دع عنك هذا الهراء في أي مكان رأينا الأسود تركب البغال. هل أنت مجنون؟

واعترض الجميع فجأة، وقالوا: لقد رأيناه.

وبدءوا يصفونه هذه المرة ابتداء من رأسه، وفى تلك اللحظة دخل من الباب مخبرٌ، وقال خبرًا جعل الصياد الجريح يتكلم بعد أن كان مُمْسِكًا عن الكلام.

واندفعوا جميعًا إلى منزل الصياد الجَريح وكان يرتعش من الخوف، فقال له كبير الصيادين:

– لقد حكى لي زملاؤك شيئًا ، حيث يقال إنك رأيت حيوانًا جديدًا يدعى «الأسد البغل» فهل هذا صحيح؟

فكان الرجل يحرك لسانه بصعوبة ويقول: كان هناك ثعلب يسرق الأرانب والدجاج فطاردناه. وأطلقنا عليه بعض الرصاصات من خلفه، لكنه كان يهرب ويعود ثانية في النهاية. .

فصاح كبير الصيادين قائلاً: ياهووووووووو ، أنت تخرج كلمة من فمك كل ساعتين وأنا لم أفهم منك شيئًا . أنا أسألك عن شيء واحد، أنت من الذي جرحك؟

– فقال الجريح : « الأسد البغل» .

– وما هو «الأسد البغل»؟ .

– أصفه لك؛ تسلحنا وخرجنا خلف الثعلب .

– أعلم كل هذا . . احكِ لي عن المخلوق الذي جرحك .

– رأيناهم من بعيد؟

– من هم .

– الثعلب، والأسد البغل .

– إيييه . . . !

– لقد كان غريبًا جدًا .

– وما وجه الغرابة فيه؟!

– كان هناك «أسدٌ بَغْلٌ» والثعلب المَذْكور كان يمتطى حمارًا محملًا بالأشياء.

– يااااااه. يعنى أن الثعلب هو أيضًا كان يمتطى حمارًا ، أمعقول هذا؟!

– إذًا كيف كانوا يركضون . .

– إيييه! بعد ذلك . .

– فنحن أطلقنا الكلابَ لكي تَضْبطهم وتركناهم فانطلقت الكلاب إلى الأمام وبعد قليل وفى مكان مليء بالصخور . .

– ماذا حدث؟ فقد بدأت الكلاب تهرب عائدة إلى الخلف فقلنا لنمسك بهم، لكن لم يكن ممكنًا. وكأنما عاصفة كانت ستخلع ذراعي . .

– هاااااااااااه احكِ بسرعة . .

– لماذا تجعلني أقص بسرعة، وأنا لا أستطيع الكلام. والآخرون رأوا ما رأيته.

– ماذا رأوا ؟

– رأوا « الأسد البغل» وثَعْلبًا يمتطى حمارًا.

– هل كان أسدٌ يمتطى بغلًا .

– آاااااااه لم أفكر في ذلك من قبل. وإنى لأستريح لهذا الأمر.

– لأنه لو كان الثعلبُ يمتطى حمارًا فلماذا لا يكون كذلك. ويكون الأسدُ يمتطى بغلًا.

– وبمجرد أن قال ذلك الجريح نظر إلى الزحام الذي حوله، محاولًا أن يجد مَنْ يؤيده من بين أصدقائه.

– فقال أحد زملائه: نحن أيضًا فكرنا في هذا الاحتمال، لكن لا أحد يصدق أنه أسدٌ يَمْتطي بغلًا ؟

– ألم يكن الثعلبُ يمتطى حمارًا ؟

– فقال أحدهم: ذلك ثعلب، ويمكن أن يمتطي حمارًا ويمسك بعنانه ويتجول به في السوق، ولا استغراب لو أنى رأيته يُنتخب رئيسًا لحين ما. لكن أن يكون الأسد هو الذي يسير ويتجول وهو على ظهر بغل هذا ما لا أصدقه.

زَمْجر رئيس الصيادين هذه المرة وقال:

– اصمت. فليصمت الجميع. أنا سأتكلم، كان عليك أن تتكلم منذ فترة، والآن أسألك للمرة الأخيرة ماذا رأيت؟

– رأيت «أسد بغل.. أسد بَغْل.. أسد بـ.....غـ.....ل..

– حسنًا يا سادة ولو أن في الأمر حيلة فلن تفلتوا من يدي، والآن صفوه لي جيدًا؟ لنر ما هو «أسد البغل» هذا!

– لو قلنا إنه من الأسفل بَغل، ومن أعلى أسدٌ؛ أو قلنا إنه

obeikandl.com

أسدٌ يمتطي بغلًا ؛ فقد اكتملت كل أعضاء الأسد ، وكذلك كل أعضاء البغل . .

– وقال كبير الصيادين : يعنى : شيء كهذا ، وخطط بيده في الهواء ثم أكمل .

– يعنى لو أنك مُصِر على أن الذي جَرحك هو «الأسدُ البَغْل» ، ولو أن هذا مُمكن فبأي بندقية؟ وبِبُنْدقِيَّة من قد جُرحت . . ؟

– نعم عندما هربت كلابنا كأنما مسها الجنون ؛ تقدمنا قليلًا فماذا رأينا نحن أيضًا؟ رأينا «أسدًا بَغْلًا» . فبهت زملائي ووقفوا بلا تركيز لكن أنا سَحْبت سلاحي وكنت سأضربه .

– يعنى أطلق عليه النار .

– يعنى أردت أن أضربه .

– إيسسسسسيه !

– لكنى تأخرت كثيرًا . في تلك اللحظة بالضبط خلع «الأسد البغل» سلاحه من كتفه ؛ ونَشَّن عليّ وأطلق «بووووم» على بَطْني .

– كفى ، كفى ، أعلم التفاصيل الباقية ، لا داعى لأن تكمل . يعنى أطلق النار هاااا ! فكيف كان شكل السلاح؟

– كانت بندقية فِشنك غَرِيبَة. من البنادق التي تُعلق في الذراع.

– نعم ، نعم. أعرف لقد حكى لي زملاؤك كل التفصيلات.

– يعنى تُريد أن تقول إنه ضربك ببندقية فشنك غريبة الشكل. وبعد أن ضربك هل استمر في ملء البندقية بالرصاص الفشنك.

– نعم. لقد تحيرت كثيرًا عندما رأيتُ ما يفعله.

– وكنت أعتقد أنه سيطلق الرصاصة الثانية، لكنه لم يلمس التنك (الزناد).

– فقال رئيس الصيادين: أعلم، أعلم كل هذا. فقد ألقى زملاؤك السلاح وهربوا وسقطت أنت على سلاحك. .

– وهكذا وقف الأسد دون أن يُعَكِّر صَفْوه شيء. . أليس كذلك؟

– نعم وقف دون أن يعكر صفوه شيء ونزل الثعلب من على الحمار؛ وغالبًا قال الأسد للثعلب شيئًا وهو بدوره بدأ يجمع الأسْلحة، وحينما يقول. . . . . .

– قال رئيس الصيادين: أعلم أنه لم يبقَ سوى سلاحك أنت، ولكن غالبًا «الأسد البغل». . . .

– الأسد البغل !

– لماذا «الأسد البغل» وليس البَغْل الأَسَد؟

– فنظروا جميعًا بعضهم لبعض مفكرين: لماذا لا يكون كذلك؟

– لا يهم على أي حال فنقل عليه «الأسدُ البغل». حتى لا تثيروا الفَوْضَى مَرة أخرى، وكأنما قال هذا المخلوق شيئًا آخر للثعلب.

– نعم، لقد قلت ما كنت سأقوله تمامًا، فكأنك تعلم ما بداخلي.

– وأي معرفة، فقد سمعت ذلك آلاف المرات.

– وبعد ذلك سَحَب الثعلبُ السلاح الذي تحتك، أليس كذلك؟

– بلى! لكن قوته لم تكن كافية. ولكن قِفْ دقيقة.

– لا يمكن أن تكون قد عرفت كل هذا، كيف يمكن أن يحكي لك أحد هذا، والآخرون تركوني وهربوا؟ فكيف يقصون لك؟

فرد واحد من الزحام قائلاً: لا، لم نهرب، فقط ابتعدنا قليلًا؛ ثم اختفينا لنراقب كل الأحداث.

– يااااااه لماذا لم تطلقوا النار إذن؟

– مُعْظمنا ألقى السلاح من الخوف.

– إيييه.. والذين لم يلقوا؟

obeikandl.com

– فقال: حقًا . . . وأشار إلى أحدهم وقال: أنت لم تلقِ سلاحك . . فلماذا لم تُطلق النار؟

– فارتبك الرجل . وقال : كنت سأفعل ولا أضيع الفُرْصَة ولكني خِفْت أن أضرب أحدًا من زملائي . .

– دعكم من هذا الهراء . احكِ أنت . . . احكِ في النهاية . هل استطاع الثعلب أن يأخذ سلاحك .

– نعم والأصح أنني أنا الذي ساعدته .

– وكيف فعلت ذلك؟

– كيف فعلت ذلك ؟ انحدرت قليلًا على جانبي ، والثعلب الماكر كان عليه أن يأخذه من قبل . . فسحبه وذهبا .

– إيييييه ، هل استطاع؟

– طبعًا أخذه . . . فهل تعرف كيف كان ينظر إليّ؟

– كان ينظر إليّ لفترة ثم يدير نظره إلى الأسد .

– وربما كان يسأله قائلًا . . هلا أذنت لي يا سيدي أن أقطع آذان هذا الرجل . وآخذها معي للذكرى؟

– وبماذا أجاب عليه ؟

– نعم . . بماذا أجاب عليه . .

– هل تسخرون منى ؟ فلماذا إذن تتباحثون في الأمر بالله عليكم ؟ الغوث يا ربي ! في داخلي نار. ما زال الرصاص في بَطْني. اتركوني لأرتاح . .

– اعذرنا. فأنا أكاد أجن لهذا الأمر، ويَكاد عقلي يطير، مَفْهوم ، علينا ألَّا نتمادى. ولو أن حكاية «الأسد البَغْل» والثعلب هذه غريبة وشيقة. يعنى تشويقها من الحَيْرَة؛ بالطبع إنها فضيحة. وعندما أخذوا سلاحك هل ابتعدوا على الفور قال: الجريح نعم.

ولم تمر فترة قصيرة حتى قفزوا إلى بيوتهم ونسوا الجَريح والمَريح، ودون أن يعرفوا ممن سيأخذون الأوامر وأخذوا أسلحتهم وتجمعوا في الميدان، وبعد ذلك قسَّموا أنفسهم على الأماكن فذهبوا إلى القرى وإلى المزارع وإلى المراعى وإلى التليفونات. هيا علينا أن نُخْبر زملاءنا في كل الدنيا، ولننشر هذا الخبر في القرى المجاورة . .

وعلينا أن نحذر العاملين في المزارع الصغيرة. . وننشر الخبر في الأحياء. وهذا لا يكفى بل علينا أن ننشر الخبر حتى فى المَدينة والقَرْيَة أيضًا. هيا ليفعل كل شخص ويركب سيارته ويرسل الخبر إلى كل مكان، هيييييييه علينا ألَّا ننسى أن نأخذ أسلحتنا. هيا لنبدأ العمل، هيا إلى حَفْلَة صيد كبيرة. . .

هُجُوم على مَوْقع الحَدَث

وقبل أن يمضى يوم آخر امتلأت السيارات «الجيب» بالناس والصَّيادين، والصّحَفِيين، ورجال العلم، ومديري حدائق الحيوان، والسكرتير العام لمنظمة حقوق الحَيَوان، ورئيس جَمْعية مُحِبي القِطط، وكل هؤلاء في زحام شديد؛ وبُسِطَت الخرائط والأوراق على الأرض.. وإذا نظرت تستطيع أن ترى أجهزة اللاسلكي وأجهزة التخاطب عن بعد وأجهزة الفاكس، ورجال البريد وعربات الشرطة والضفادع البشرية، وتم توزيع المسلحين على مكاتب البريد، وعُيِّن رئيس على كل مكتب بريد وتم تسليم جهاز لاسلكي متنقل إلى كل مكتب بريد.

وبدأت المشاعر تَغْلي غَليانًا، وتجمع حول مركز القيادة بائعو الكَعْك وبائعو «السجق»، وبائعو الكُفْتَة، والماء والثلج، والفطير. وبمرور الأيام انضم إليهم عارضو البطيخ والبرتقال والنشالون والنَّصابون، والمتشردون، والعاطلون، وبائعون متجولون للمناديل الورقية وورق الحمام.

وقد تم تنظيم مُعْسكرات من أجل السائحين المتنقلين بخيامهم من مكان إلى مكان، وهناك أماكن لركن السيارات وجَرَّافات العُشْب والأوْرَاق. فكانت من زحام إلى زحام.. وأنْشِئت البيوت المُعَدَّة مسبقًا على جانبي الطريق، ولم تمض

ثمانٍ وأربعون ساعة أخرى حتى أنشئت أيضًا على جانبي الشوارع والأزقة والحواري كثير من البيوت الصَّغيرة.

وكانت تلك المدن الصغيرة غير كافية وأسعار الإيجار فيها عالية جدًا، فدكان من أربعة أمتار يؤجر لمدة ساعة بمبلغ يقدر بربع ليرة عثمانية، وكانت واحدة من تلك المدن المؤجرة بها لافتة كُتِبَت عليها «عثمان كوافير الأسد البغل».

– فقالت سيدة تَرْتَدي فراء : آاااااه إنه ظريف جدًا.

– فقالت الأخرى: هههههه يا حبيبتي، ألا يكون الفراء حارًا في صيف كهذا.

– وما الذي أعلمني يا حياتي، قالوا لي: إنها قمة جبل، فقلت: ربما يوجد برد أو ثلج؟. فماذا سنفعل لو كانت كذلك. كانت ستصبح الدنيا مُثِيرة. انظري علينا أن نُكَيِّف أنفسنا على أي وضع. الواقع هكذا. . . . .

واجتمع الفلاحون. . وعمال المزارع، والسائحون، والشيالون، والعمال المهرة، والمحتالون، والصحفيون، وعمال الإذاعة والتلفزيون، وقَسَّموا أنفسهم، كل عشرة أفراد، فريقًا؛ وكل مائة شخص قسمًا، وتوزعوا في كل مكان بالآلاف وتحرك جيش مكوَّن من خمسة أو عشرة آلاف شخص من مكان لآخر. .

وأسدلت الأغطية على السيارات «الجيب». وقفز منها المصورون الفوتوغرافيون، ومصورو الفيديو.، ويتصايح رؤساء الصيادين بأقصى ما لديهم من قوة في أجهزة «الميكرفون»:

– لا تفسدوا الصف هـــاااااااااى.. الصف رقم ألف وخمسين لا تتأخروا. ويتصايحون هكذا.....

وتم تنظيم جَوْلات تتكلف نصف ليرة عثمانية للمتطوعين الذين تم شَحْنهم في صفوف على شاحنات كبيرة.

وبعد قليل ظهرت طائرة هليكوبتر. ومنها بعض الطائرات التي يمكنها أن تحمل أوزانًا ثقيلة جدًا مثل الدبابات وكانت تُحَضِّر الجدران الخرسانية للمنازل الجاهزة. وكان المهندسون المتدربون يغرسون المنازل الخرسانية لكي تكفى الأعداد.....

فأنشئوا فندقًا مكونًا من طابقين بالكاد يكفى لثلاثين شخصًا. لكن الإقبال كان شديدًا فلم يبق فيه ثلاثون فقط بل تزاحم فيه بضع مئات؛ لهذا السبب فإن مديري الفندق بدءوا يطيرون في البلاد بالطائرات الخاصة وبدءوا يعملون في تبديل العملات ونشر المليارات..

وكانوا يمرون في البلاد كأنها فى أيام عيد! فقد فاقت التجهيزات كل التوقعات؛ ذلك الأمر الذي كان سيستمر لمدة شهر على أقل تقدير..

هذا الشهر الذى روجت فيه السياحة كان مربحًا لكل أنواع الصناعات المحلية ولكل أرباب الحرف الإقليمية. ومضى على ذلك اثنتان وسَبْعون ساعة، وكانت أعداد السائحين القادمة من خارج البلاد خلال الثلاثة أيام هذه تعادل ٩٩٩٩ ضعفًا للأعداد الآتية إلى البلاد في العام الماضي.

وقال أحد المسئولين: إن الأعداد قد تزايدت إلى ١٠,٠٠٠ ضِعْف، وكان كل من يَسْمع هذه البيانات من الإذاعة والتلفزيون، يَطِيرُ من السعادة.

وقد اتخذت قرارات سوف يتم عرضها؛ لتزيل العقبات والمشاكل في السياحة الداخلية، حتى لا تضيع فرصة مشاهدة المَنْظر على الآتين لمشاهدة «الأسَد البَغْل» وحياته وموته.

وكانت توجد طوابير طَوِيلة في كل أماكن العمل وآلاف من الناس يَمْسكون في أيديهم «طلبات الإجازة»؛ ولذا فقد بدأ إضراب كبير؛ حيث إن الجميع لهم حقوق في الإجازة، وفجأة الجميع يريدون أن يأخذوا إجازاتهم ولو كان الأمر هكذا، فهذا يعنى إغْلاق المَصانع وتوقف العمل..

وفي نهاية الأمر، تم استدعاء المَسئولين.. إلى مجالس العمل، واتخذوا القرار بأنه من الممكن التصويت في موضوع عدم تفويت الفرصة، وتم استصدار قانون جديد وتم اتخاذ قرار بمساندة كل حركات السياحة سواء من المواطنين أو من الأجانب.....

اقتفاء الأثر

الفريق رقم سبعمائة وخمس وخمسين كان قد اقترب كثيرًا من المكان الذي أنشئ فيه مُعَسكرُ الأسد والثعلب من قبل. الذي هو بالقرب من حَظِيرة المزرعة، التي أنشئ بها صالون مكون من ثلاثة طوابق . .

كانت الشمس ترتفع والعرق يتصبب من كل شخص، فمعظمهم كان يرتدي أحذية ثقيلة ومَعاطِف سَمِيكة الفراء من بَلَادَة تفكيرهم.

كان صيَّاد شاب يَنْحني باحثًا مدققًا في الأعشاب التي كانت بين الأشجار فوجد آثارهم.

– فهاج على الفور قائلاً: وجدتهم فانتشر الخبر على الفور.

– وقال كبير الخبراء: افرحوا !

وهم أيضًا فرحوا فانتشر الخبر في فتره وجيزة وهجم خمسة عشر ألف شخص على هذا المكان جميعًا بدون استثناء؛ لكي يروا تلك الآثار.

ولكن تم إيقافهم في صفوف بعضهم خلف بعض بانتظام.

فكان كبير الخبراء مع المحللين يتتبعون الآثار المَطْبوعة على الأرض ويقولون: هههههههه هههههههههههه هههههههههه، دون توقف.

– وكان الجميع مندهشين يتساءلون: تُرى ماذا يعبر قولهم هههههه؟

يبدو أن لكل واحد منهم مَقْصدًا خاصًا؛ لأن كل واحد يفكر فيها بشكل مختلف.

وفى النهاية أخذ الخبير في يده هاتفًا لاسلكيًا وقال:

– هل اتفقنا على ربط الترددات اللاسلكية التي ستكون معنا جميعًا ؟

وهكذا بدءوا في اجتماع مشترك من خلال أجهزة اللاسلكي.

– كبير الخبراء يقول: أيها الزملاء ابدءوا ! مع الأسف كل شيء صحيح.

توجد هنا آثار لثعلب وحمار، وأسد بَغْل. بعد تدقيق طويل قرروا أن ما وجدوه هو آثار « أَسد من ناحيةٍ وآثار بغلٍ من ناحية أخرى». ولكن آثار أقدام الأسد متباعدة وهذا يعنى أنه يطأ الأرض عند اللزوم فقط، وهى آثار خَفِيفة قليلًا، مقارنة بآثار الأسد الطبيعي ، وأنا الآن أتتبع آثارهم.

obeikandl.com

وسوف تمرون من هنا بالتناوب وترونهم، وسوف نتتبع آثارهم، ولكن مع الأسف نحن لن نجد شيئًا لكي نشممه كلابنا.

- ولكن لا تزال باقيةً أشلاءُ خَمْسة أو عَشْرة أرانب ودجاجات مَوْجودة في المَزْرَعة القريبة من هنا التي سبق أن هجموا عليها.

وعلى الرغم من أن الروائِح اختلطت، فإنكم لو كُنْتم موجودين هنا الآن مثلنا فسوف تدركون أن الرائِحة الخاصة التي نشمها نحن نخمن أن تكون رائحة أسد بَغل.

وماذا لو قلنا: إنها رائحة تُشْبه رائحة البامْيَة باللَّحْمة، ومن الغريب أنها قريبة جدًا من الرائحة التي كنت أشمها في مطبخ المَرْحُومة أمي: هاهاها.... هاهاها.... هاااا.

وعندما رأى كبير الخبراء أنه لم يَضْحك أحد غيره على هذه الفكاهة، شعر بالإحراج وغضب كثيرًا وقَرَض على أَسْنانه.

- إنه من الصَّعب إلى أقصى درجة أن نظل نسير خلف صَيَّاد، والآن من الأصوب أن نسير قُدُمًا في الطريق الذي تبدو فيه الآثار.

وكان يسير بجانب كبير الخبراء واحد من المزارعين الذين رأوا «الأسدَ البَغْل» وجهًا لوجه؛ فقال له:

– سيدي رئيس الخبراء، لو أنك سألتنا فسوف نوضح لسيادتك على الفور مكانهم ، حيث إننا رأيناه هنا من بعيد مع الثعلب، وهم أيضًا رأونا وساروا في هذا الاتجاه.

– أعلم. . . . أعلم كل هذا. لقد هربوا منكم أليس كذلك؟

– نعم يا سيدي كانوا في هلع.

– آاااااه. ، يعنى أن «الأسد البغل» عندما رآك أصابه الخَوْف وأصابه الهلع. . وهرب. هاااااا!

– لا، لست أنا !. . . . . بل كلنا.

– من هؤلاء الذين خافوا منك ؟

– لست أنا يا سيدي بل نحن وكانت معنا كلابنا أيضًا.

– حسنًا وبعد.

– بعد ذلك نحن –أيضًا– عندما رأينا «الأسد البغل» ساورنا الخَوْف. كانوا عند هذه الصُّخور المواجهة لتلك الربوة. . .

– وكيف ذهبوا إلى هناك ؟ هل كانوا يطيرون؟

– لا، كانوا يَرْكضون!

– هل رأيتموهم؟

– نعم بأعيننا هذه يا سيدي.

obeikandl.com

- رئيس الخبراء: حسنًا وبعد. . .

- وظل أحـدهم في الخلف وتقدم «الأسدُ البغل» ونحن لم نكن نفهم ما يفعلونه في تلك اللحظة، ولكن كان الثعلب يركب على الحِمار ويقف في الخلف وذلك هو نفسه الثعلب الذي سطا على دجاجنا وأرانبنا في المَزْرعة. هل تعرفه يا سيدي الخبير؟

أخذ أرْنَبًا وأحضره ثم جاء من جديد بعد ربع ساعة بالتمام.

- فقال كبير الخبراء: نعم نعلم. نعم نعلم . .ولكن اعتبر أننا لا نعرف، وقل لنا هل أخذوهم واحدًا واحدًا أمام أعينكم؟ هل هكذا ؟

- ليس كذلك أبدًا. يعنى أنك مخطئ لو أنك اعتقدت أننا رأيناه وحاصرناه بأيدينا وصُدورنا، لا، لم نفعل ذلك مطلقًا.

- فماذا فعلتم إذن؟

- انتشرنا بأسلحتنا على كل جِدار وكل شَجرة وبين الأعشاب نبحث عن السارِق، وعلى الرغم من كل هذا ، فقد وقفنا لمدة ساعة، وبعد ربع ساعة أخرى رأينا الثعلب الذي دَخَل المزرعة من الحُفْرَة الموجودة تحت الجدار.

– ياااااااااااااااه !

– ونحن دون توقف أطلقنا عليه النار، لكن ما الحكمة في أننا لم نُصِبْه؟

– حيث قفز وذهب وفى فمه بضعة أرانب ودجاجات أخرى وديوك، ولكننا وجدنا آثار دم على الأرض لم نكن نعرف لمن هذه الآثار.

– قال رئيس الخبراء: غريب جدًا! غريب جدًا! هذا ليس ثعلبًا عاديًا .

– نحن أيضًا مقتنعون بذلك يا سيدي.

وكانوا وهم يستمعون بشغف لهذه المحادثة يسيرون بخطى سَريعة، محاولين أن يصلوا إلى المنطقة الصخرية التي في الجَبل، وفى النهاية وصلوا إلى مَنْزل الصياد الأول، وكانت الشمس قد تعامدت تمامًا على الرَّبْوة، وكان الجو قد ضاق وارتفعت درجة حرارته، وبدت الطيور وكأنها تراجعت إلى أغْصَان الشجر، ونسيت الطيران والتغريد والالتقاط؟ وكانوا يشاهدون هذا الحشد المهيب.

– فقال الصَّيَّاد: ها هنا ضُرِب زميلنا.

– وقال رئيس الخُبراء: وأَين كان هو؟ وكأنه كان يخاف أن ينطق من فمه اسم « الأسد البغل» .

– هو كان عند السور.

فتحولت كل الأنظار إلى المكان الذي أشار إليه الصياد بإصبعه، وكان أمام حجر كبير؛ وحاولوا جميعًا أن يتخيلوا المشهد.

– خرج فجأة من خلف هذه الصخرة. وكان بيننا وبينه مائة وخمسون مترًا تقريبًا، وكانت كلابنا قد ذهبت إلى أسفل الصَّخرة مباشرة، لكنهم تفرقوا هاربين يمينًا ويسارًا، ونحن أيضًا قلنا: ما الأمر؟ ماذا يحدث ؟ فتقدمنا بسرعة إلى المكان الذي كان يقف فيه فرأيناه.

– وكيف كان ؟

– كان لَوْنه بنيًا فاتحًا من أقدام البَغْل وحتى رأس الأسد.

– وهل كانت هناك بَرْدَعة على البغل، وله عنان؟

– لا لم يكن مُمْكنًا، فلم تكن بينهم ذرة من الفراغ. لقد كانوا مُلْتَصقين.

– وبأي فم كان يأكل ؟

– كيف يعنى بأي فم كان يأكل؟

– يعنى هل كان يأكل طعامه بفم الأسد أم بفم البغل ؟

صمت المزارع طويلاً ثم قال:

– نحن لم نره يأكل شيئًا . ولم نره يأكل بأي فم . سواء فم البَغْلِ أو فم الأسدِ .

– فقال رئيس الخبراء : مهما يكن ، مهما يكن ؛ وهز رأسه وكأنما يحاول أن يتخلص من الخيالات التي ألمت به ثم سأل : أأطلقتم النار عليه ؟ صحيح .

– أم أنكم لم تكونوا تصدقون . . .

– لو لم أكن أصدِّق ؛ هل كنت تركت عملي وأتيت إلى هنا؟

رئيس الخبراء كان سيقول شيئًا آخر ؛ حيث إنه قرَّب الميكروفون إلى أمام فمه ، فَرَفع الجميع رءوسهم إلى أعلى متتبعين السلك المَرْبوط بالميكرفون ، عندما نظروا لكي يفهموا ما الذي سيفعله ، وكان الصحفيون والطيارون على الرَّبْوة . وهكذا أنزلوا ميكرفونًا بالسلك إلى أن وصل أمام فم رئيس الخبراء ، وهم أيضًا كانوا قد أنزلوا له جهاز ميكروفون من باب الطائرة الهليكوبتر المفتوح .

– فنادى قائلاً : لدينا سؤال سيدي الرئيس ، هل استطعتم أن تجدوا الأثر ؟

– تفحص الموجودون هنا الأثر ووجدوا آثارَ «الأسد البغل» ، كانت آثارًا لأسد وآثارًا لبغل ولكن مُعْظمها آثار

obeikandl.com

بغل، وبعد ذلك تُوجد آثارُ أسد مطبوعة على الأرض، ربما يستخدم أقدام الأسد عندما يحتاج إلى الفرار بسرعة.

انتشر الخبر في العالم بواسطة الإعلان والنشر نقلاً عن هذه الأبحاث والمراكز، وكان ملايين الناس يتتبعون الأمر في التلفاز، ومن المحتمل أن هذا العدد يصل إلى الضعف في ساعات المساء، وكانت سَبْع وعشرون شركة تلفزيونية تتابع الحدث وتبثه إلى العالم. . . . .

* * *

obeikandl.com

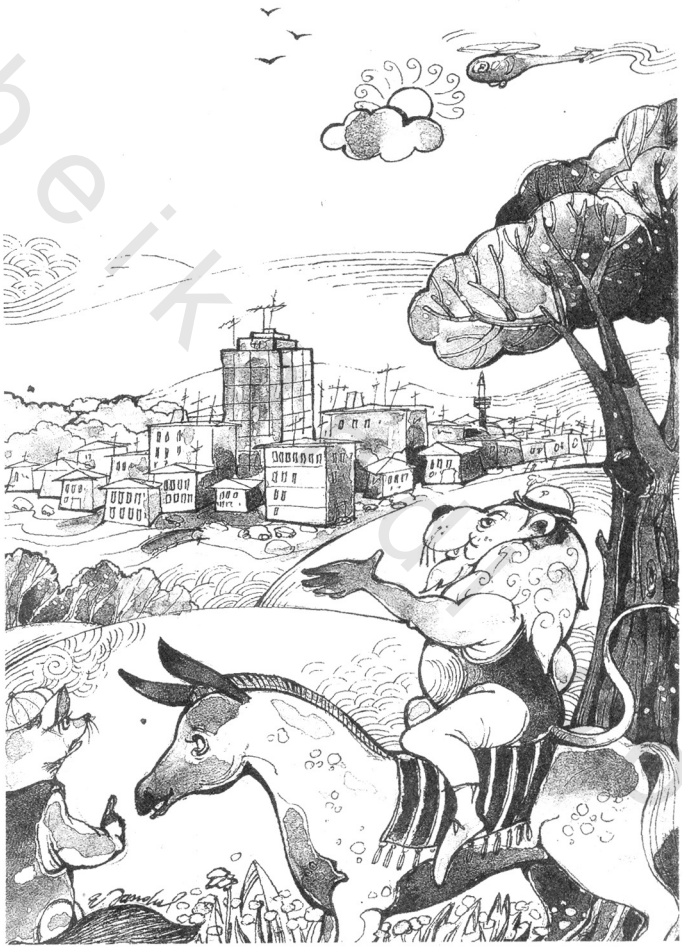

حُقُول الرَّوَث

– وبعد أن سِرْنا قليلاً تم إعداد مهبط للطائرات الهليكوبتر في مكان دراسة الحبوب، ولو أنهم استطاعوا أن يجدوا الوقت لبناء السَّاحة المناسبة لمكان هبوط الطائرات فلن يكون من الصعب أن يواصلوا حملات البحث في أي مكان في الدنيا. ولكن الآن أصبحت الطائرات الهليكوبتر العِمْلاقة تُقْلِع وتهبط على مكان الدِّرَاسَة القديم.

وكادت طائرة مُحَمَّلة بثلاثمائة سائِح تهبط على حديقة منزل رئيس الحَي، ولكن تم توجيهها إلى مكان الدِّرَاسة القديم بنجاح. بعد ذلك تم نشر رَوَث البقر في ميدان واسع؛ لكي يَجِف بعد أن تم رشه بالماء ودلكه حتى أصبح مثل الطِّين وذلك تمهيدًا لصناعة مهابط من الروث. وقد استطاع رُكاب الطائرة الهليكوبتر أن يتفهموا الوَضْع من خلال الذُّبَاب والرائِحة التي صادفتهم بمجرد فتح الباب. وهكذا شعروا أنهم غاصوا إلى عُمق قليل عندما اعتقدوا أنهم هَبَطوا هبوطًا ناعمًا بدون اصطدام.

الطيار كان يُريد أن يقلع ويهبط مرة أخرى على هذا الميدان لكنهم اختنقوا مرة واحدة، ولم يستطع أن يقلع بهذا القدر من الوزن الثقيل.

وكان من الضروري أن يقوم بإنزال المسافرين من الطائرة تمامًا. وقد تقرر إنشاء كوبري علوي على الرَّوَث المخْلوط اللين بعد المقابلة القصيرة التي أجْريت مؤخرًا مع الهيئة المُنَظِّمة، وقد رَسَت المناقصة على إحدى الشركات التجارية التي كانت قد دفعت الهدايا والهبات بسرعة، وقد أنشئ الكوبري في مدة قصيرة جدًا تبلغ حَوالي نصف ساعة وبسرعة مُدْهِشة، وقد سار عليه السائحون لأول مرة وهم خائفون، وكانوا يمسكون حافة الكوبري بأيديهم. ويضعون مناديل ورقية على أُنوفهم باليد الأخرى.

ولكن لم يكن هناك شيء يدعو للخَوْف، وفى الناحية الأخرى كان ينتظرهم رئيس الحي والمزارعون والأطفال، وفى الوقت نفسه كانت قد أعدَّت لافتات صغيرة لإرشاد السائحين وكان بهذه اللافتات خلفية تاريخية قَصيرة عن أقراص الروث. وكانوا يَفْرضون مائة دولار على الرجل وهم يشرحون الأضرار التي تلحقها الطائرات الهيلكوبتر بالحقول وكانت تنتهي اللافتات بكلمة «Thank you» شكرًا بخط صغير. وكانت أيضًا توجد في نهاية اللافتات بخط صغير جدًا تحذيرات بأن الذين لا يدفعون النقود لن يُسْمح لهم بالمرور، وأخذت عليهم تعهدات بأن السائحين يتحملون مسئولية التجاوزات التي قد تحدث منهم، وقد تم تسجيل ذلك في أسفل اللافتات، يعنى

في خلاصة الأمر كان هناك رصاصات قد أُطلقت على مَزْرَعة وعلى حقول الروث. وقال السائحون: إن مائة دولار تعتبر أجرة مناسبة ، وهكذا جمع رئيس الحي والشباب ثلاثين ألف دولار في وقت قصير، وبعد أن مر آخر سائح ،ذَهب رئيس الحي إلى جانب الطيار الذي يستعد للإقلاع، وغمز الرجل في يده بمليون ليرة، واتفق مَعه على عمل مَهابط للطائرات من حقُول الروث في الرحلات بعد ذلك. وقد انضم الفلاحون الذين تعلموا الأمر إلى هذا العمل، وكانوا يستعدون بتنظيم وعزق الأرض تحت جذع شجر الفاكهة المَوْجودة في الحدائق، وكانوا يَعْملون بشكل عائلي ومُعْظم الأطفال كانوا يخرجون بالعربات اليدوية وصفائح الرَّوَث المُتَجَمِّع في الإسطبلات، كانت تتكدَّس خارجها، أما آباؤهم وإخوانهم الكبار؛ فكانوا ينشرونه في ساحات واسعة حتى يتمكنوا من إسالة الماء عليه. وفى النهاية بدأت الشركات الكبرى تعلم بالأمر. وكانت تُريد أن تَضع يَدها على هذا الأمر، دون تأخير، وبدءوا في المحاولات للحصول على الرَّوَث في وقت قصير. فكانوا يَسْقون البقر مشروبات فتح الشهية، ويجعلونها تأكل الكثير من العشب، ولكن كل هذا لم يكن فعالاً بشكل سريع. ولم يتزايد الإنتاج بالقدر الكافي، ولهذه الأسباب أصبح الروث بقيمة تُماثِل قِيمَة الذهب.

واتحدت عدة شركات بعضها مع بعض، مكونين مَجْموعة شركات كبيرة وقد تقدموا بطلبات لمسئول الوزارة المختصة يطلبون فيها الدُّخول إلى مجال صناعة مهابط من روث البَقَر. ولكن لم يتم الرد من الوزارة ؛ لأنه لم تكن هناك مادة في القانون بِخُصوص هذا الموضوع، وبناء على ذلك افتتح رئيس الحي- بسرعة وبدون أي تأخير وبدون أي إجراءات- مَصْنعًا لِصناعة مهابط الروث، بناه من الجُـدْرَان الخرسانية الجاهِزة خلف منزله وخلف ربوة بعيدة عن الأنظار. وقد أنشأ مختبرًا صغيرًا للأبحاث وتم جلب الخُبراء الأجانب إليه وأعدوا في بضع ساعات خَلْطة تتكون من: الطِّين والقُمَامَة، وأمْعَاء وبقايا أجْزَاء الحيوانات، وَوَرَق الشجر، وبعض المواد الكيميائية الأخرى، وكثيرًا جدًا من قشر البيض الذي يكسب الرائحة المميزة.

ولكنهم أيضًا استخدموا عطورًا ذات رائحة خاصة، وكان ذلك ضروريًا في النماذج الأولية، وقد أصبح شكلها طبيعيًا عند إضافة مواد مكسبات اللون، ولكن أحد الخبراء الأجانب ثار جدًا على موضوع الألوان وكما يقول: «إن موضوع أن تكون حقول الروث بلونها الطبيعي أو عدمه ليس أمرًا مهمًا بالنسبة إلى السائحين، المهم هو الرائحة وكثرة الذباب. . .

لذلك تم عمل روث بألوان مُخْتَلِفة؛ فيمكن أن يكون الجو جذابًا من ناحية المَظْهر. وهكذا تم إنتاج منتجات في ألوان متعددة، أحمر وأصفر وأخضر ورمادي وأزرق... وقد تم نشره على «ميادين هبوط الطائرات».

وهكذا بدأ الإقلاع والهبوط بطائرات الهليكوبتر من ميادين الهبوط التي أعِدَّت من كميات من الروث تتعدى ألوانها إلى حوالي ٢٠٠٠ لون وكانت صاحبة كل ذلك مجموعة شركات «mok»، وقد وضعت بوابات كبيرة أمام الكباري التي أنشئت ما بين الأرض اليابسة وبين الهُبوط وكان يتم تحصيل ١٠٠ دولار تعريفة المرور التي بدأها رئيس الحي على البوابات بشكل مُنْضَبط ومنظم، ولم يهملوا أن يضعوا على كل بوابة أجهزة كشف الدولارات المُزَيَّفة.

وكان يمر من هذه البوابات آلاف السائحين وكان المدير العام لمجموعة شركات «mok» يفرك يديه بانفعال ولم يكن يَسْتطيع أن يتمالك نفسه من الحقد على رئيس الحي عندما كان ينظر إلى حقول الجِلَّة التي أنشأها منذ البداية. أما المسكين فقد كان يُقْلع بطائرته من زاوِية صَغِيرة جدًا وغير لطيفة، وبصراحة كانت طائرته هي الوحيدة التي تهبط وتقلع من هذا المكان.

* * *

أثر جَدِيدٌ

كان كبير الخبراء يقوم على وظيفته بنجاح وبشكل دائم، ولكنه كان متعاليًا قليلاً ؛ لأنه كان يَسْتمع باهتمام إلى أقوال المُزارعين الذين رأوا «الأسد البغل» وكان شُغْله الشَّاغِل أن يُقَدِّر طبيعة معلوماتهم، وبالإضافة إلى ذلك كان يواصل العمل في تلك البلاد بمفرده، فكان يواصل بشكل جَيِّد، ويقوم بحملات كبيرة في وقت قصير بناء على الامْتِيازات التي أخذها ممن يعرفون الإقليم. والآن وهو يتابع آثارًا غريبة، وجد آثارًا جديدة أيضًا، وكان من أهمها دَلْو لبن، ذلك الدَّلْو الذي أحضره الثعلب للأسد ذات ليلة عندما أغار على الحظيرة للمرة الثانية، ولم يتوقف الذين كانُوا في المزرعة الثانية عند هذا الحادث ولم يُطاردوا الثعلب، وكانوا يظنون أن الذي حَلَبَ اللبن هو العروس الجديد وهى يحلب اللبن، وكان هذا هذيانًا. ولكن عندما تكشفت لهم بِطَريقة ما قطرات اللبن المتقاطرة على الأرض من الحَظِيرة وحتى الإسْطَبل، والأهم من ذلك كله هو أنه لم يَتَبَيَّن بأي طريقة المكان الذي يوجد فيه دلو اللبن. وكانوا يَحْكمون على ما يواجههم بأنه لغز لا بد أن يستطيعوا حَلَّه. هل انتقل الدلو من مكانه بنفسه ؟

ولكن بمجرد أن بدأت الأبحاث في تَعَقُّب «الأَسَد البغل» استطاعوا أن يَعْثروا على دَلْو اللبن عندما وَضَعوا في اعتبارهم الحادث الأخير الذي كان في المزرعة. وكانوا يتعقبون ويقيسون بالآلات الحساسة كل الآثار الموجودة في هذا المكان الذي وجدوا فيه الدلو ، وكانت هذه آثارًا حَيَويَّة مثل الآثار التي سبقتها، فقد وجدوا المكان الذي بات فيه « الأسد البغل» والثعلب والحمار.

وبعد أن انتهى كبير الخبراء من أبحاثه، بدأ يَشْرح في الميكرفون الذي وَضَعه أمام فمه، وكان أهم ما ورد في الشَّرْح:

– أن «الأسَد البغل» هو على أصوب التقديرات حَيَوان يُشْبه الأسد من ناحية، ومن ناحية أخرى، يُشْبه البغل الذي يتم الركوب على ظهره ، والأسد وحركته مستقلة.

– وكان لهذه الأخبار أثر الصدْمة على العالم كله كيف يمكن أن تأتي تلك القطعتان المنفصلتان معًا إلى المنطقة مرة أخرى بغريزة واحدة؟

– وكان علماء الأحْيَاء وخُبَراء المُخ والغُدَد يَضَعون نظريات يشُوبها الاضطراب حقيقة، لذا فقد رَصَدت بعض المُؤَسسات جوائِز لمن يُدْلي بأفكار مهمة وناجحة في هذا الموضوع.

– وبينما تسير الأمور هكذا بشكل مطرد، وربما كانت مسألة القبض على «الأسد البغل» مسألة وقت؛ تَغَيَّر الوضع فجأة ووقعوا في وَرْطة. حيث إن أشخاصًا غير معروفين وبدون أسباب واضحة سَبُّوا كبير الخبراء.

وكان هناك احتمالان:

أولهما: أن كبير الخبراء سوف يَسْتولي بمفرده على هذا المَخْلوق العَجيب ويَسْتَخْدمه لصالحه الشَّخْصي. ولفرض أفكاره على كل الدنيا.

أما الثاني: فهو أنه تم التشكيك عمومًا في قدرات الخبراء المَحَليين.

وتم إقالة كبير الخبراء من وظيفته بأمر لاسلكي؛ وكان الرجل لا يزال بجوار دَلو اللبن. ويلتقط الصُّور العِلْمِيَّة الحساسة للآثار الموجودة عليه. وبمجرد أن بدأ التطرق لمرئيات خبير أجنبي ظهر الاختلاف؛ ولحسم هذا الأمر على الفور تم التصويت عليه وتم قبوله بتسعة عشر صوتًا مقابل اعتراض شخص واحد وهذا العضو حاول أن يشرح اعتراضه قائلاً:

– في الحقيقة أنا أؤمن بضرورة وجُود خَبير أجنبي، ولكن أنا رجل أبِيّ وعندي حمية وعناد، وأظن أنكم كذلك ولو شِئتُم خذوا ما أقوله أو اتركوه. أو يمكن أن يقوم رجالى بهذا الأمر..

وحتى هذا القرار نفسه أخذ قرارًا بالتصويت عليه، وتم إحضار ألف وخمسمائة خبير من الدول التي قبلت براتب يومي يقدر بما يعادل ما يجمعه رئيس الحي وأعوانه من طائرات ممتلئة بالسائحين مضروبًا في عشرة وكان من بينهم خمسمائة من كبار الخبراء .

وقد انتهت أَعْمال الخبراء المحليين والقرويين، وقبل أن يمر على ذلك بضع ساعات كان قد بدأ العمل في بناء مدخل للبلدة يطل على الأماكن التي سيأخذها الخبراء الأجانب، وقد أقيم حفل استقبال صغير لهم في حقول الروث الملون، وكان الخبراء أهم من يمر على الكباري التي تربط ما بين مهبط الطائرات والأرض اليابسة بدون أجر. وكان ذلك امتيازًا شخصيًا لهم، أما مجموعة الشركات فقد عبرت عن أفكارها الغاضبة من هذا التمايز بين المحلى والأجنبى.

على أية حال، هذه الشركات كانت تريد أن تنسحب من الوزارة بسبب أجرة المرور هذه. وعلى أي حال فقد وصل الخبراء إلى مكان عَمَلهم.

وجمع كبار الخبراء الآثار التي وُجِدت على الأرض، وبعد أن جُمِع قدر كافٍ من المعلومات قال الخبير الأكبر: نحن ليس لدينا وقت لنضيعه. هل بيننا أحد رأى « الأسد البغل» عيانًا؟

فخرج أحد المزارعين وأراد أن يُخْبِره من خلال المترجم بما رأى فقال له في البداية :

– ذهب « الأسد البغل» ومن معه في هذا الاتجاه .

ولكن لم يكن شيئًا مهمًا بالنسبة إلى الخبير الأكبر . ونبَّه المترجم قائلاً له :

– قل لهذا الرجل أن يُجيب فقط عن الأسئلة التي نسألها له ثم سأل بعد ذلك :

– هل الأسد البغل ذكر أم أنثى؟

– فأجاب المُزارع : وما فائدة ذلك ها هنا؟

ولكن بالتأكيد كان الخبير الأكبر يعرف إذا كان هذا الأمر ذا أَهميَّة أم لا . فتقدم المُزارع إلى الأمام قليلاً . فقال الخبير الأكبر للمترجم :

– قل له دعك من ادعاء العلم هذا؛ واجعله يجيب فقط عن أسئلتنا وإلا سوف أترك هذه الوظيفة وأعود إلى بلدي وليس بسببه فقط ، بل لأنني أنتظر الدقة نفسها في العمل من كل شخص تحت قيادتي ، والآن انقل كلامي هذا للجميع بالضبط .

امتقع المُترجم أمام هذه التَّهدِيدات واتجه إلى المزارعين وقام بترجمتها كأنها الجمل الغاضبة نفسها ، وبينما التزم كل واحد

obeikandl.com

بِمَلْمَح الجِدِّيَّة التي ارتسمت على الوجوه خرج الفلاح نفسه من بينهم وقال : يااااااااااا ! أمام الخبير الأكبر وصاح فى وجهه بشكل غريب أمام الجميع قائلاً : « موووووووو» .

وبمجرد أن فَعل ذلك أخذ الخبير الأكبر نفسه وذهب إلى مَنْزله ، وهو يقول كان يجب عليكم ألا ترسلوا ورائي رجلاً يَعْبَث ، لذلك أنا لن آتى مرة أخرى . فأسقط فى يد الجميع . . وتجمدوا فى أماكنهم . . وقالوا متسائلين :

- أَنهائيًا؟

- نعم . . .

ولأن رئيس كبار الخُبراء لم يكن من أهالي تلك البلدة؛ فقال يَجب عليكم أن تَجِدوا لي رجالاً آخرين غيرهم ، قد رأوا « الأسد البغل» .

وعندما علموا ذلك خرج من وسط الزِّحام خمسة أشخاص آخرين من المزارعين وكانوا من الذين رأوا «الأسد البغل» وجهًا لوجه .

وهم -أيضًا- جاءوا تدريجيًا أمام الخبير الأكبر ، وفعلوا مثلما فعل الأول قائلين : « مـووووو» وأخـذوا بعضهم وذهبوا .

فتحيَّر الموجودون مرَّة أخرى وأسقط فى أياديهم، ولم يكن الخبير الأكبر يفهم شيئًا ولم يعر الأمر أهمية وكان بجواره (١٤٥٩) خبيرًا من المشهورين والموثوق بهم على أعلى مستوى عالمي. ولكن على أية حال فهم لن يتأثروا من تصرفات بعض الفلاحين، ولم يؤاخذوهم بها. ومن جديد قاموا بتسليح المتطوعين وشَكَّلوهم. وقاموا بإنشاء مركز قيادة على المكان الذي يقفون به ، حيث سيظل فيه الخبير الأكبر، حيث يوجه الحركة وأعطى لكل واحد من الـ (١٤٥٩) خبيرًا عشرة أفراد، وبدءوا البحث المنظم جاعلين مَرْكز القيادة هذا نقطة انطلاق لهم.

* * *

obeikandl.com

الاكتشاف العبقري للخبير
« كِيرُوسْتوف مُولوبِى »

الخبير الأكبر قبل أن يشرح خِطَّته جمع الخبراء واستدعى إلى المؤتمر واحدًا ممن أتوا من وزارة (الظل) وبدأ الخبير الأكبر يعرض المسألة بالشكل التالي :

– أين نبحث نحن عن « الأسد البغل»؟

فنظر الخبراء بعضهم إلى بعض. الخبير الأكبر لم يكن يَصْبر على شرح الخطة وكان يُريد أن يسير الحوار بالسرعة التي بدأها. وعندما لم يجب عليه أحد صاح كم هي بَسيطة! نحن يجب ألا نفكر طويلاً. أجيبوا كأنكم تُجيبون بعقلية طفل صغير، ثم سأل مرة أخرى.

– أين سنبحث عنه؟

ولكن الجميع كانوا صامتين يَخْشون أن يكون للسؤال جواب معقد وخافوا أن يقولوا جوابًا خطأً في تلك الخطة، لكن الخبير الأكبر، الذى كان يشعر فى داخله بعدم الثقة فيهم لم يملك نفسه وأجاب عن سؤاله قائلاً : أَلسْنا نبحث عنه على وجه الأرض؟ ومن ناحية أخرى كان يُوَضِّح لهم المنطقية في سير العمل وهكذا.

obeikandl.com

سأل سؤاله الثاني.

– إذًا فماذا علينا أن نَفْعل حتى لا نَتْرك له مكانًا يهرب إليه ونقبض عليه ؟

– فرد عليه واحد من الخبراء: علينا أن نبحث عنه على وجه الأرض مترًا مترًا، حتى لا نترك له مكانًا يهرب إليه يا سيدي.

– فقال الخبير الأكبر: تمام.

أخيرًا بدأ الرجال يعملون عقولهم.

– فقال الخبير الأكبر سؤاله الأساسي: كيف سنفعل ذلك؟

– قل لنرَ.

فوُضِعت الأيدي على الخدود وبدا الجميع كأنهم سيقتلعون شعر رءوسهم. وبعد ذلك قِيلت بعض الاقتراحات، مثل؛ التقاط الصور من الجو، أو عمل نظام راداري لرصد الحيوانات من على بُعْد بضع كيلومترات، وغيرها من الاقتراحات. وجميعها تستلزم المشروعات الصعبة.

ولكن كان هناك اقتراح بسيط لدى الخبير الأكبر: كل هذا ممكن أن يحدث؛ ولكن علينا أن نبحث عن طريقة للحل. وتكون طبقًا للإمكانيات والوقت المتاح لنا. وعليكم أن تضعوا ذلك في الاعتبار؛ لأن كل ثانية تمر نفقدها و«الأسد البغل»

يبتعد عنا بسُرْعَة. قولوا كيف أننا سنمشط وجه الأرض دون أن نترك مكانًا؟

وهذه المرة، قِيلت بعض الاقْتراحات العَمَلِيَّة، ولكن لم تكن أي واحدة هي التي في رأس الخَبِير الأكبر، وعندها أوضح كبير الخبراء اقتراحه دون مماطلة:

– نعم نحن نبحث عنه على وجه الأرض، وليس في السماء. أليس كذلك؟ وعلى وجه الأرض، لكن ليس كل الأرض، كما أن الأمر بسيط فعلاً.

– سوف نبحث عنه في هذه البلد فقط.

– ولماذا هذه دون غيرها..؟

– لأنه توجد حدود؛ وليس «الأسد البغل» عاقلاً حتى يحاول الهروب من خلال الحدود. وكلنا نعلم أنه لا بد من بعض الإجراءات الشَّكْلِيَّة المعقدة لكي يستطيع أن يعبر الحدود.

– هاااااااه. وهذا يعنى أننا سوف نبحث عنه داخل حدود هذه الدولة، وهُنا البلد تُشْبه المُرَبَّع الذي يكاد يشبه المستطيل. والآن كيف سنعمل بحثًا فيه دون أن نترك مترًا مربعًا واحدًا لا نبحث فيه.

– هيا لنر فأنا أنتظر الإجابة.

obeikandl.com

ومرة أُخْرى وضعوا أيديهم على خُدودهم، وشدُّوا شعورهم. فأكمل الخبير الأكبر دون توقف؛ تَخَيَّلوا حَوْضًا وأُلقي في هذا الحَوْض حجر فسوف تظهر على الفور أمْواج؛ وكيف ستكون تلك الأمْواج؟ فسوف تبدأ الأمواج من المكان الذي أُلْقِي فيه الحجر، ثم تتسع بشكل مضطرد وتنتهي عند حدود الحَوْض. ولكن ما النتيجة؟

تنتشر الأمْواج على سَطْح الماء في كل اتجاه ابتداء من نقطة الانْطِلاق ، نحن أيضًا علينا أن نَبْحث بالتتابع كل خمسة أو عشرة أقدام. فقال أحدهم: إنها بسيطة جدًا ، ونحن أيضًا يمكننا أن نُفَكِّر في شيء كهذا . فهب الخبير الأكبر واقفًا على قَدَمَيْه، ونَفَخ صدره وقال:

– لكن أنا الذي فكرت.

إنها خطة بسيطة لكنها عَبْقَرية، وفي الحال وضعت موضع التطبيق.

مكث الخبير الأكبر في المكان الذي حَدَّدوه كنقطة انطلاق، وشكل خَمْس فرق وراء بعض، يبحثون في كل ناحية حتى يصلوا إلى حدود البلاد ثم يعودوا في شكل أمواج تتزايد باستمرار. وهكذا يمكن تتبع آثار « الأسد البغل»؛ لأنها من الممكن أن تكون مُضَلِّلة، وسوف يكون البحث في كل اتجاه

على الأرض.

وتكوَّنت فرق أخرى من الشَّعب وتحركت، وكانوا على ارتباط مؤقت بالمَرْكز، وعندما سَمِع المُجْتَمعون في مدينة المركز بالتقدم مباشرة إلى تلك الناحية بدأ هلع كبير ظنًا بأن «الأسد البغل» سوف يأتي مباشرة إلى تلك النواحى.

وهكذا تَسابق الناس بناء على خطة البحث الجديدة التي أعلنت في الإذاعة والتلفزيون ، وعلى الرغم من ذلك، فإن قسمًا من السائحين فضلوا العودة إلى بلادهم كما جاءوا بأفكارهم سواء حدث ذلك أو لم يحدث. وقد وردت رسالة من الفريق الذي بدأ السير من المركز مُتَّجهًا إلى الخارج ، ولم يمر على بداية سيره ثلاث ساعات، وكانت فَحْوى الرسالة: «سيدي الخبير الأكبر، تتسع دائرتنا بشكل مستمر ولهذا السبب تتباعد المسافة بين الأفراد في جماعتنا، وسوف تكون أقرب مسافة بين الواحد والآخر، حوالي مائة متر. وفى هذا يحتمل ألا نرى «الأسد البغل». فأرسلوا إلينا تَقْوِيَة. ولكن هذه لم تكن مشكلة؛ حيث أرسل إلى الدول المجاورة والدول المهتمة بالأمر وتم إحضار متطوعين جُدد، وتم تقوية الجماعات بهم، و بدأ التحرك من جديد.

ولكن بعد بضع ساعات، أخرى جاءت الشكوى نفسها من

المجموعة الأمامية؛ هذا أيضًا ليس كافيًا، وأصبحت المسافات الفاصلة مائة متر من جديد، وأظلم الجو، ونحن سوف نُضيء من كل ناحية ولكن هناك بعض الأشخاص الذين يغالبهم النَّوم. ويُمْكن أن يهرب من أمام أعينهم.

– فقال الخبير الأكبر: استمروا، فليهرب إن استطاع، يبدو أنكم نسيتم الحلقات الآتية خَلْفَكم. نعم لم يكونوا يفكرون في الحلقات الآتية خلفهم، لقد كان هناك أربع حلقات خلفهم. واستمر البحث.

وتزايد عدد المسافات باطراد في اليوم التالي، حتى إن بعض الأفراد لم يكن بعضهم يرى بعضًا، وأعطى الأمر بالتوقف.

لقد تم تعيين متطوعين جدد، وقد تطوع عشرات الآلاف من الناس الذين يريدون أن ينالوا شرف القبض على «الأسد البغل» من جَمِيع الدول، وخلال وقت قصير جاء سَبْعون ألف فرد من أربع عشرة دولة، وقد أرسلت قوة عسكرية من قوى حفظ السلام الدولية، وبعد فتره قصيرة أتت وراءهم الهيئات والمنظمات التي أحضرت موظفيها وعائلاتهم معهم، ولهذا السبب أنشئت مدينة جديدة، أخذت مكانها بين مدن العالم وكان تعداد سكانها يصل إلى مليوني نسمة.

وذات يوم، عندما استيقظ المليونان بعد أسبوع وجدوا

أنفسهم غارقين في صعوبات أعمالهم متناسين تمامًا «الأسد البغل».

وكل فرد أخذ مكانه في « جيش من المتطوعين» الذي يتكون من سبعمائة ألف شخص، يتعقبون «الأسد البغل» في شكل حلقات تتسع بشكل تَدْرِيجي. وعندما مضى يومان آخران على ذلك، واتخذ كل منهم طريقه نحو الحدود المختلفة للدول المجاورة حتى لا يكاد أحدهم يرى أقرب زميل له- تابع كل منهم منفردًا متخطيًا الجبال والوهاد داخل البلد فى إسهاب مفتقدين الموجات التي كانوا قد نظموها داخل البلد. . . . . .

* * *

obeikandl.com

القسم الثالث
البَيْدَاء

– قال الأسدُ للثعلب : هل استرحت الآن؟

– فقال الثعلب : نعم يا سيدي . وأنا ما زلت لا أستطيع أن أفهم ما قيمة الأشياء التي كنت أحملها . أنا مهما شكرت لك يا سيدي فسوف يكون قليلاً .

– لعلها تكون تَجْربة طيبة لك ، ولو كنت قد قلت لك ألقهم عن رأسك كنت لن تقدر قيمة ذلك .

– إنك مُحِقٌّ جدًا يا سيدي . محقٌّ جدًا .

الأسد أدار شَفَتَيْه الغليظتين وأراد أن يُطْلِق الصَّفِير ، ولكن فمه كان جافًا ، وكان يتنفس بصعوبة ، فقال : أشعر بالعطش يا صديقي العزيز . يجب أن نأخذ راحة عندما نصل إلى تلك الربوة . لقد قطعنا طريقًا طويلاً ، ترى أين نحن الآن ؟

– فقال الثعلب : حقًا يا سيدي ؟

وعندما صعد الأسدُ والثعلبُ على الربوة لم يصدقا عيونهما . تمتد أمامهم صحراء مترامية الأطراف ، وفي نهاية الأفق البعيد تبدو الشمس وكأنها تغرب خلف رَبْوة حمراء

دموية اللون .

كان منظرًا خلابًا ، وإلى أي مدى كانت الصحراء هادئة وواسعة ؛ حتى إنها تُخيف أي أحد .

– وكان الأسد يقول : مُدْهِش ، مُدْهِش . . ما بين فترة وأخرى وكأنه يمارس السحر ؛ وكان الثعلب يرتعش من الخوف .

ثم فك عنان الحمار والبغل وتركهما يأكلان في العشب ، ولكنه ما لبث أن نهض وقال : هل ستنام الليلة – أيضًا – دون أن تأكل شيئًا يا سيدي .

– فقال الأسد : نعم فأنا لست مثلك ، فأنا لست جائعًا ، ولكن أنت تعلم أنني أتناول طاسة من اللبن قبل أن أنام .

– فقال الثعلب : نعم يا سيدي ، نعم .

ونهض من مكانه على مضض وابتعد . تُرى ذهب لينجو بنفسه ؟ أو لا ! أما الأسدُ فظل يُدير رأسه في الصحراء الشاسعة حتى الصباح . وبعد قليل بدا الثعلب ومعه قليل من اللبن بعد أن قام بالبحث والتمشيط ، فأعدَّها وقدمها إلى الأسد الذي يتأمل في الصحراء على مَهل ، فشرب الأسد اللبن بنهم ، ولكن كانت عيناه لا تفارقان الصحراء .

تمدد الثعلب لينام ، ولكن على أية حال عيناه لم تذوقا النوم من الهموم ، ولكنه في النهاية غط في النوم وكأنه مغمى عليه .

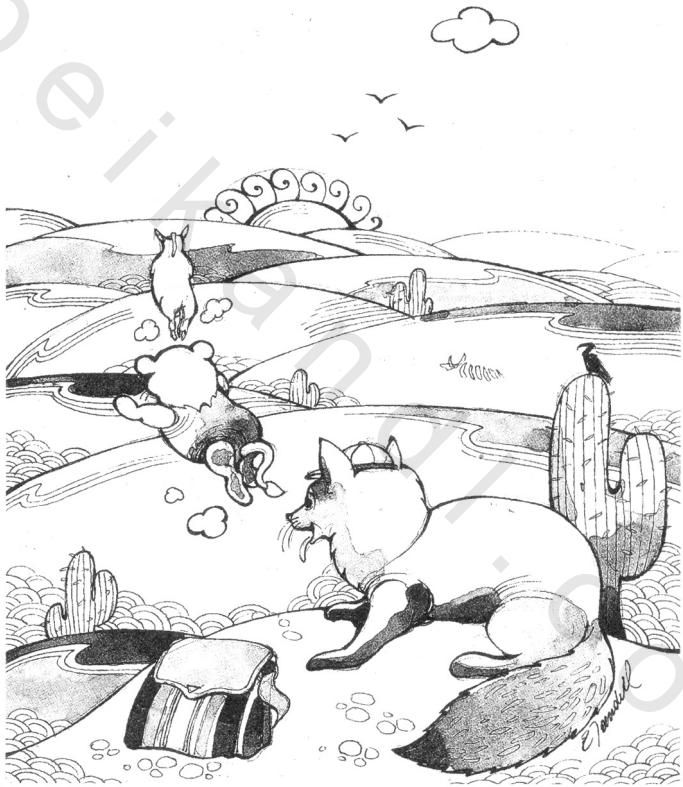

obeikandl.com

ووقف الأسدُ عند رأسه وقال: هيا استيقظ، أريد ماء باردًا أيها الحنون كالأم. ففتح الثعلب عينيه وهو يبتسم من الامتنان. وكانت شفتا الأسد الغليظتان قد انكمشتا وانتفخ وجهه.

فانتصب الثعلب وهو خائف وجلس وقال: تفضل يا سيدي.

– أعطني بسرعة يا صديقي. فسوف نُغَادر على الفور، علينا أن نتعجل قبل طلوع النهار، فلم تغمض عيناي حتى الصباح من انفعال السفر. لو أن الشمس أشرقت من يدري أي شيء خارق سوف يحدث هنا. آاااااه. لو أنني أحضرت ماكينة الكشف الفوتوغرافية الخاصة بي.

استعد الثعلب بسرعة، وكان يَخاف أن يسأل في أي اتجاه سوف تسير الرِّحْلَة، ولكن الأسد كأنما يتحدث لنفسه قال:

– سوف نذهب إلى الصحراء هذه!

قال ذلك وكأنهما أخذا القرار سويًا.

– ولكن يا سيدي، كم تكون الصحراء حارَّة، وعلى أي حال لا يجب أن أقول لك أنا ذلك. وعلاوة على ذلك يكون من الصعب جدًا إيجاد الطعام هناك. وبعد أن قال جملته الأخيرة، نظر الثعلب إلى عُيُون الأسد كأنما يُريد أن يقرأ أفكاره، قال الأسد: لا تشغل نفسك في التفكير في

obeikandl.com

أشياء كهذه، هيا حتى لا نتأخر. ثم وَطِئَا بأولى خُطاهما إلى الصحراء.

رمال، رمال، رمال. ثم أشرقت الشمس وأخذت تعلو باستمرار، فبلل الثعلب مِنْدِيله وأخذ يضعه على رأسه. وكان يُخالِطه النعاس وهو راكب على ظهر حماره، وعندما غربت الشمس هبت عليهم رياح خانقة رطبة.

فقال الأسد: إنني جائع وعطشان ؟

فجاء الخوف إلى رأس الثعلب في الحال. تُرى ماذا سيفعل الأسد؟ عندما يذهب بنفسه يبحث عن الطعام، فلا يجد سوى الرمال من حولنا في الصحراء المترامية الأطراف، ولا يزال أمامنا مسيرة يوم حتى نصل إلى أقرب مكان به صَيْد.

– فقال الأسد مرة أخرى: أشعر بالجوع والعطش، ويبدو أنه اتخذ في نفسه قرارًا حاسمًا بعمل شيء ما، في البداية نظر بعينيه إلى أكوام الرمال، ثم نظر إلى الثعلب والبغل والحمار، ثم ثبت نظراته على الحمار؛ وبحساسية غريبة ألقى الحمارُ الثعلبَ من على ظهره وبدأ يركض بلا هوادة.

أما الأسد، فلم يضطرب من ذلك ولم يغير صفاءه شيء كهذا، وكأن شيئًا لم يحدث وكان جالسًا في هدوء على ظهر بَغْله..

obeikandl.com

وبعد فترة نزل من على البغل، وبدأ يركض خلف الحِمارِ بخُطى طويلة وسريعة، وكان الثعلب ينظر إليه بدَهْشة، وهو يقفز على الحمار من على بعد بضعة أمتار، وكان الأسدُ والحمار هناك أمام كومة الرمال، وقد قَضِم الأسد القصبة الهوائية للحمار. وبعد فترة شَهِق، ثم سكت الحمار دون حراك، ولكن الأسد لم يترك جثته حتى تبرد، فلم يظل طويلاً حتى مزقه بأسنانه، وبعد فترة بدأ يأكل في لحمه بلا تذوق.

– قال الأسد: تبدو هادئًا جدًا يا صديقي العزيز. انظر إلى جمال هذه الليلة. أليس جمالاً مدهشًا، هل رأيت في حياتك شيئًا كهذا ؟ليلة حالكة السواد، والنجوم تملأ أرجاءها.

ثم أكمل كلامه قائلاً: النجوم قريبة إلى هذا الحد لو أنك تركت نفسك لها فسوف تشعر بحرارتها على وجهك. تستطيع أن تلمسها لو مددت يدك، إنها قريبة ولامعة إلى هذا الحد. لم أفكر يومًا أن السماء تمتلئ بالنجوم إلى هذا الحد، تُرى لماذا هي كثيرة في الصحراء.. لماذا ؟

ولكن الثعلب لا يزال صامتًا وكأنه لم يسمع شيئًا، والأسد مستلقٍ على ظهره وهو ينظر إلى السماء.

والهلال يظهر تدريجيًا، وبدأ الأسدُ يشعر بارتياح وهو يأخذ أنفاسه، ذلك الارتياح الذي لم يشعر به طوال النهار.

وكان يشعر بأنه يفرغ الحرارة التي جثمت على صدره، وكان يمتطي بغله ويزمجر، يفعل كل ذلك بالإضافة إلى غموض الصحراء أمامه وخوفه منها. . . .

وكان الأسد ينظف أسنانه أحيانًا، طبقًا لطبيعته، فكان الثعلب يرتعد خوفًا.

الأسد لم يكن يرى صديقه العزيز في الظلام، ولكنه بعد فتره فتح أذنيه ليسمع الأصوات الناتجة من تخبط أسنانه ببعضها البعض فقال الأسد :

– غالبًا أصابك البرد.

– فقال الثعلب : نـــعم.

– لم أكن أعلم أن حيوانًا مثلك يتأثر بالبرد بهذه الطريقة. . هذا شيء من الخوف.

فنهض الأسد من مكانه على الفور. وقال: اذهب إلى المكان الذي بقيت فيه عِظام الحمار وما تبقى من أشلائه وأحضر بَرْدَعَته وعنانه، فسوف تكون هذه الأشياء فراشًا مُناسبًا لثعلب.

فطوى خيش الحمار عدد طيات ثم افترش طرفًا وتغطى به لكي يستدفئ. فأحاطت أنفاسه الحارة بأطرافه الباردة فاستدفأ الثعلب.

obeikandl.com

وذهب عنه الخوف تمامًا، وأراد الأسدُ أن يعطي قطعة للثعلب من لحم الحمار، لكنه لم يبق معه في حقيبته سوى قطعة أو قطعتين. وفى اليوم التالي بعد أن أيقظ الأسدُ الثعلبَ، وهو ينفخ بلطف في وجهه قال له:

انظر ماذا وجدت. ووضع أمامه قطعه لحم ثمينة.

فنظر إليها الثعلب باشتهاء وبينما هو يَمْضُغها في فمه سأل قائلاً:

– أنا لا أفهم يا سيدي لحم أي شيء هذا؟

– إنه من خُلاَصة لحم الحمار يا صديقي، كل بالعافية!

فاحمر وجه الثعلب، ولكن معدته قد هضمته وامتلأت منه وشَبِع، وظلوا يسيرون في الصحراء الجرداء حتى المساء، وفى المساء أيضًا أعطى الأسد للثعلب من لحم الحمار قطعة أخرى. وعلى أي حال هذه المرة لم يسأل وشرب عليها بعض الماء، وغطّ في نوم عميق.

وأشرقت شمس صباح يوم آخر، وبدءوا يسيرون من جديد في الصحراء وبعد برد الليل القارص، بدأت تعلو بلطف شمس الظهيرة ولا يوجد حولهم أي خَيال ولا ظل.

وكان الثعلب يتلفت حوله بيأس، فقد تناقص الماء، وقد شرب جرعة ماء أخرى وهو خائف على زمزميته، ولم يستطع

أن يُخَمِّن أين العمار، أي أين الأعْشَاب والأشْجَار والحيوانات والناس الأعزاء؟! أين العمار المملوء بهم؟

كانوا قد توقفوا، وأخذوا الطريق مباشرة ناحية الشرق، وكان هذا هو أفضل شيء مُتاح لهم أن يفعلوه؛ لأنهم لم يكن لديهم خيار العودة إلى الخلف.

– آاااااااااااه، لو قليل من الهواء!

– ليتنا نجد شَجَرة واحدة نجلس تحت ظلالها. ليتنا لو نستطيع أن نرى ولو غُصْنًا واحدًا، آه.. لو أن هناك نبعًا أو بئرًا للماء نستطيع أن نذهب إليه. آه لو أن هناك سرابًا يدلنا على ذلك.

فسأل الأسد:

– لماذا تشعر بالملل؟

– فقال الثعلب: لو أنه من الصعب الوصول إليهم ليتني أرى السراب الذي يُسَلِّيني ويجعلني أتخيل أي شيء:

الماء، الشجر، الينابيع، الإنسان، الحيوان.

– فقال الأسد: لا عليك. لقد جاء وقت الراحة.

وبعد قليل أخذا قسطًا من الراحة، ثم أخرج الأسد قطعة لحم أخرى من خُرجِه.

– فقال الثعلب : سيدي . إنك تأكل قليلاً ألا تشعر بالجوع؟ فإنك لم تأكل لقمة منذ بضع أيام .

– نعم، ولكني لا أشعر بالجوع، ولو شعرت بالجوع فإن القطعة التي أَخْرَجْتها من خُرْجى وأعطيتها لك لا تكفي أن تُسَلِّك أسناني .

الأسدُ بعد أن أَشْبَع الثعلبَ رقد بجانبه في مودة، وكان يريد أن يشرب كوبًا من اللبن منذ أن خرجوا إلى الصحراء ولكنه ببساطة كان يشرب كوب ماء. وفى اليوم التالي أيقظ الأسدُ الثعلبَ وهو يشعر أن رأسه يؤلمه، وعلى الرغم من لطف جو الصباح فإنه يشعر بتآكل في عضلاته، فنظر إلى الرمال المقفرة. وقال: أشعر بالجوع والعطش .

ثم أدار عينيه على البغل والثعلب، ثم ثبتهما على البغل ولكن البغل لم يكن يتحمل ذلك، ولم يكن في يده شيء سوى أن يَرْكُض ويجري بأقدامه الأربعة من الخوف والفزع، تلقاء النظرات التي كان ينظر بها الأسد إليه، ولكن هذه المرة لم ينتظر الأسد وقتًا طويلاً .

– وقال سائلاً الثعلب : ألن تأخذ لقمة؟

– فسأل الثعلب : هل آخذ؟

– أنت تُريد أن تأخذ ولا تريد كأنك ضيف .

فمد فمه وقطع قطعة ومضغها. ولكن كلما مضغ كانت تتضخم في فمه.. ولم يبتلعها.

– على أي حال سوف أستطيع أن آكلها في وقت آخر. فأنا لست على شهية هذا الصباح.

– فقال الأسد: لا عليك، فأنا سوف أحمل لك في خُرْجِى ما يكفيك لأيام مرة أخرى.

في الحقيقة لقد شبع الأسد جيدًا، وبعد أن لعق كثيرًا وسلك أسنانه وتمضْمَض جيدًا بكوب من الماء، عزل كثيرًا من اللحم ووضعه في حقيبته التي ألقاها على ظهره، ثم أعطى الأوامر بالخروج إلى الطريق وكان الثعلب يتبعه وهو يَشْعر بجوع لا يحتمل.

وفى اليوم نفسه رصدا بئرًا فأدلى الأسد بالثعلب في البئر بالحبل الغليظ الذي فتلاه من الخيش الذي كان معهما، فشربا قدرًا كافيًا من الماء واغتسلا، وأمضيا ما تبقى من يومهما هناك في ذلك المكان اللطيف وكذلك أمضيا ليلهما.

وفى الليل احتضن الأسد الثعلب برفق لكي يدفئه وظل يغنى له أغاني «الهَدْهَدَه».. استيقظ الثعلب على آلام معدته الخاوية. وعندما رآه الأسد استيقظ قبله قال له:

– هل من شيء يا صديقي العزيز؟

– لا يا سيدي، أنا في أحسن حالٍ.

– لقد أقلقني أن أراك مستيقظًا قبلي، ما زالت النجوم في السماء. أظن أنك لم تنم من الجوع.

– فقال الثعلب معترفًا: نعم يا سيدي.

فأخرج الأسد قطعة من لحم البغل، ووضعها أمامه، فأكل الثعلب طعامه ثم خرجا إلى طريقهما، ما تبقى من لحم البغل كان يكفي الثعلب لأربعة أيام أخرى. أما الأسد فكان فقط يشرب الماء خلال هذه الفترة، وكل صباح يقوم بكثير من التمارين العَضَلِيَّة الرياضية.

– قال للثعلب: ألم تكن الرحلة على ظهر البغل مريحة ياصديقي العزيز. لقد فهمت ذلك الآن، وإنى تحملت على نفسي الكثير، فهل هذا شيء حسن أن أظل على هذه الحال طوال النهار.

– فقال الثعلب: لا، ليس حسنًا يا سيدي.

وفى اليوم الخامس فتح الثعلبُ عَيْنَيْه على أنفاس الأسد الذي ينفخ في وجهه بلطف.

– ويقول: استيقظ يا صديقي الصغير.

ولقد ارتاب الثعلب من التغيير الذي استخدمه الأسد. هذه المرة استخدم «الصَّغير بدلاً من العزيز»، لا بد أنه يبيت

في نفسه نيَّة. فنهض الثعلب وهو يُحاول أن يغطي الانفعال الذي انطبع بداخله.

فمد إليه الأسد آخر قطعة لحم باقية في قاع الخُرْج.

تقدم الثعلب ناحية الأسد بخطوات ثقيلة، وعندما خرجا إلى الطريق، امتلأ داخلهما فرحًا وظلا يدعوان دون توقف، لقد سارا كثيرًا في محيط الرمال الجرداء، وما زال لم يبد لهما أي شيء من العمار، وقد جاء ميعاد طعام الأسد، وعندما بدأ وقت الظهيرة في الانقضاء كان الثعلب ينظر إلى الأسد في ذعر وهو يَهْذي، ويقول: «العمار، العمار» وبعد العصر بقليل بدا أمامهما العمار عندما صعدا على كومة عالية من الرمال.

وكانت تبدو الأشجار الخضراء على بعد خمسة أو عشرة كيلومترات. فبدآ يركضان وكان في تقديرهما أنهما خلال ربع ساعة سيكونان هناك.

والثعلب يكاد يطير من السعادة فكان يصيح قائلاً:

– ها قد نجحنا. لقد وصلنا.. ها هو العمار، العمار، العمار.

– فقال الأسدُ: نعم يا صديقي العزيز، لقد وصلنا ولكني لم أر شيئًا ممتعًا في الصحراء هذه المرة. علينا أن نأتي إلى هُنا مرة أخرى في أول فرصة. وبدآ يسيران ما تبقى أمامهما

من الصحراء بخطى هادئة، وبعد بضع دقائق سمعت أصوات تأتى من داخل الأسد ؟

– فقال: أشعر بالجُوع والعطش.

– فصاح الثعلب: لا يمكن لقد بقيت دقائق ونصل إلى بلاد عامرة بالأَرانب والغزلان والدجاج والديوك، وبعد قليل سوف نكون هناك.

ولكن الأسد لم يستمع إليه ولم يفهم حتى ما يقصده.

– وقال مرة أخرى: أَشْعُر بالجُوع والعطش.

ووقف كالمجنون. ولم ينظر حوله ونظر إلى الثعلب.

– فقال الثعلب وهو يرتعد: لا يمكن.

وقد رأى في عين الأسد لأول مرة ما رآه الحمار والبغل من قبل.

ودون إرادة منه بدأ يَرْكض فظل الأسد يَنْظر إليه لفترة. ثم ركض خلفه غير آبه لأَصْوات الاعتراض التي كانت تأتي من أعماقه ومن داخِله.

* * *